اجاثا كريستي



المصيدة

ثلاثة جرذان عمياء، انظر إليها كيف تجري...
كيف يمكن أن يتحول هذا اللحن الذي يغنيه الأطفال ليصبح رمزًا لقاتل خطير، ودليلاً على ارتكاب عدة جرائم قتل؟
كيف يتحول حلم السيدة "مولي" وزوجها في قصر "مانكسويل" إلى مصيدة يستخدمها القاتل لصيد ضحاياه من هذا القصر؟!
ترى لمن تنصب المصيدة ... للقاتل أم لضحاياه الأبرياء؟!!

أجاثا كريستي

- ☐ الكاتبة التي ترجمت رواياتها إلى 103 لغات.
- ☐ بيع من كتبها أكثر من 650 مليون نسخة باللغة الإنجليزية وحدها.
- ☐ كاتبة روايات بوليسية، ولدت في جنوب غرب إنجلترا من أب أميركي وأم إنجليزية، لكنّها تقول " إني إنجليزية ". تتميز عن جميع الروائيين البوليسيين، مما نصَّبها ملكة عليهم جميعاً. فرواياتها كبيرة متكاملة، فيها عشرات الشخصيات الحيَّة التي يشعر بها الإنسان دائماً. لا تترك شخصية تظهر في رواية لها دون أن توضح كل معالمها في لمسات سريعة طريفة مهما كان دور هذه الشخصيَّة في الرواية، كما تميَّزت أيضاً بأنّ أشخاص رواياتها أشخاص عاديون، ولكنّهم تعرضوا في الرواية لظروف أزالت القناع الحضاري عن الوحوش القابعة في أعماق كل إنسان. كذلك لم تلجأ الكاتبة العظيمة إلى عنصر الجنس في رواياتها، على عكس ما اتبعه الآخرون. إنّها كاتبة فاضلة ليس في كتاباتها ما يخجل الآباء أن يطلع عليه الأبناء. ولم تهدف إلى الإثارة، ولا تلجأ إليها. ورواياتها تضمَّنت أيضا أهدافاً إنسانية فحواها أنّ (الجريمة لا تفيد) وأنّ الخير هو المنتصر في النهاية.

ثمن النسخة

لبنان	3000 ل. ل.	قطر	10 ريالات
سوريا	100 ل. س.	مسقط	1,5 ريال
الأردن	1,5 دينار	مصر	20 جنيها
السعودية	10 ريالات	المغرب	30 درهما
الكويت	1 دينار	ليبيا	3 دنانير
الإمارات	10 دراهم	تونس	4 دنانير
البحرين	1,5 دينار	اليمن	400 ريال

DAR MUSIC FOR PRESS, PRINTING, PUBLISHING & DISTRIBUTION, S.A.R.L. JOUNIEH - LEBANON
ISBN 9953-38-120-8
9 789953 381206

المصيدة

برنارد الأسطه

يقدّم

الرواية المعرّبة

المصيدة

(81)

تأليف الكاتبة والأديبة العالمية

أجاثا كريستي

تعريب الأديب الراحل

عمر عبد العزيز أمين

الناشر

دار ميوزيك

للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.

ص.ب 374 جونيه – لبنان

تلفون 666 211 9 961 00 فاكس 401 260 9 961 00

البريد الإلكتروني info@darmusic.net

قام بعون الله الأستاذان / **محمد حافظ - فهمي أحمد محمد**

مشكورين بمراجعة هذا الكتاب وتدقيقه وتصويب أخطائه اللغوية والمطبعية.

الغلاف بريشة الفنان

عبد العال

- 1 -

كان البرد شديداً، والسماء مظلمة وملبدة بالغيوم. وكان ثمة رجل يرتدي معطفًا أسود، ويحيط أسفل وجهه بشملة (كوفية) من الصوف، ويرخي حافة قبعته على جبينه. يسير ببطء في شارع "**كالفر**".

وأمام المنزل رقم 74 توقف الرجل لحظة، ثم ارتقى درج السلم، وضغط زر الجرس، وسمع الرنين في الطابق الأرضي..

وكانت السيدة "**كاسي**" تغسل الصحاف في المطبخ حين سمعت رنين الجرس، فقالت وهي تصر بأسنانها:

– لعنة الله على هذا الجرس! إنه لا يكف عن الرنين ولا يدعني أستريح!

وتركت الصحاف؛ وارتقت درج السلم الداخلي وفتحت الباب.. وبدا لها الرجل أشبه بظل من السماء المكفهرة.

وسألها الرجل بصوت خافت أشبه بالهمس:

– هل أنت السيدة "**ليون**"؟

فأجابت السيدة "**كاسي**":

– إنها في الطابق الثاني، وفي استطاعتك أن تصعد إليها.. هل أنت على موعد معها..؟

فهزَّ الرجل رأسه ببطء..

قالت السيدة "**كاسي**":

– اصعد السلم على كل حال واطرق الباب.

وراحت تراقبه وهو يرتقي السلم.. ثم هزت كتفيها وقالت لنفسها:

– لابد أنه مصاب ببرد شديد.. وإلا ما كان صوته أشبه بالهمس.. ومن ذا الذي لا يصاب بالبرد في مثل هذا الطقس المخيف..؟

وعندما صعد الرجل بضع درجات، راح يصفر في هدوء نغم أغنية معروفة، مطلعها:

« ثلاثة جرذان عمياء.

انظر كيف تجري؟ »

*****

تراجعت "**مولي دافيز**" بضع خطوات، ورفعت عينيها إلى اللافتة الجديدة التي وضعت على الباب. والتي كتبت عليها هذه الكلمات:

«**فندق قصر "مانكسويل"**»

ولم تتمالك نفسها عن الابتسام..

كانت اللافتة تبدو حقًّا وكأنها من صنع فنان محترف.. صحيح أن حرف (القاف) في كلمة "**قصر**" كان مرتفعًا قليلاً عن السطر، وحروف كلمة "**مانكسويل**" تزاحم بعضها البعض ولكن اللافتة في مجموعها كانت مقبولة.

وفكرت "**مولي**" في زوجها، وابتسمت مرة أخرى.

لاشك في أن "**جايلز**" يستحق التهنئة؛ فقد أنجز مهمته العسيرة على خير وجه.. على الرغم من أنه لم يمارس كتابة اللافتات من قبل.

إنه لم يذكر لها عن نفسه إلا القليل، ولكنها تكتشف فيه كل يوم شيئًا جديداً.. ولم يبق لديها شك في أنه إنسان متعدد المواهب، يستطيع الاضطلاع بأعمال كثيرة مختلفة.. ولا عجب فهو جندي سابق في البحرية.. والبحارة معروفون بالدأب والنشاط.

وعلى كل حال فإن "**جايلز**" سوف يحتاج إلى كل مواهبه وقدراته في مغامراتهما الجديدة..

إنها على يقين بأنه لا يوجد في الدنيا من يجهل مهنة الفندقة، وأعمال الفنادق مثلها هي و"**جايلز**" .. ولكن مغامرتهما ستكون- على كل حال- شيئًا مسليًّا .. وهي بالنسبة إليهما قد حلت مشكلة المسكن بطريقة حاسمة.

لقد كانت هي صاحبة المشروع، فعندما ماتت عمتها "**كاترين**"، وكتب إليها أحد المحامين؛ لينبئها بأن عمتها "**كاترين**" قد أوصت لها بقصر "**مانكسويل**"، فكرت هي وزوجها على الفور في بيع القصر.

سألها "**جايلز**":

- ما شكله ..؟

فأجابته:

- إنه قصر كبير قديم .. مليء بالأثاث العتيق تحيط به حديقة كبيرة .. ولكن الحديقة أهملت منذ بداية الحرب .. ونمت فيها الأعشاب والنباتات. ولم يكن يعمل بها في السنوات الأخيرة سوى بستاني عجوز.

وهكذا قررا أن يعرضا القصر للبيع .. وأن يحتفظا من الأثاث بالقدر الذي يكفي لتأثيث كوخ صغير أو شقة متواضعة يقيمان فيها.

ولكن وقفت دون تنفيذ هذا القرار عقبتان، الأولى، أنهما لم يجدا الكوخ الصغير أو الشقة المتواضعة التي يريدانها .. والثانية أن قطع الأثاث كانت كبيرة الحجم، ولا تتسع لها الشقق الحديثة.

وأخيراً قالت "**مولي**":

- لا مناص إذن من بيع القصر وما فيه .. وأعتقد أننا نستطيع الحصول على ثمن مغر ...

وأكد لهما المحامي أن كل شيء يمكن بيعه بأثمان باهظة .. بعد أن وضعت الحرب أوزارها.

فقال "**جايلز**":

– وإذن فمن المحتمل جداً أن نجد من يشتري القصر وما فيه؛ ليجعل منه فندقًا وبخاصة أنه بحالة جيدة ولا يحتاج إلى ترميمات.. فقد قامت صاحبته قبل وفاتها بترميمه وطلائه.. وأدخلت عليه بعض التحسينات.. نعم إنه بحالة جيدة تمامًا.

وهنا ومضت الفكرة في ذهن "**مولي**"إذ قالت :

– لماذا لا نفعل نحن ذلك يا "**جايلز**"؟ لماذا لا نحاول استغلاله كفندق؟

وسخر "**جايلز**" من الفكرة في البداية، ولكن "**مولي**" أصرَّت وألحَّت وقالت:

– لا حاجة لنا في البداية إلى قبول نزلاء كثيرين، ثم إن إدارة الفندق لن تتطلب جهدًا كبيرًا. خاصة أن الغرف مزودة بالماء البارد والساخن.. وبالقصر جهاز للتدفئة.. وأنابيب غاز للطهو. وفي استطاعتنا أن نزرع الخضر في الحديقة، وأن نعني بتربية الدجاج والبط؛ لنحصل على حاجتنا من البيض.

– ومن سيقوم بكل هذه الأعمال..؟ إننا سنفعل ذلك حتمًا أينما أقمنا.. سنفعله لأنفسنا، في شقتنا أو في كوخنا.. فإذا زاد عددنا بضعة أشخاص فإن ذلك لن يغير من الأمر شيئًا.. قد نحتاج فيما بعد إلى امرأة تعاوننا، أما في البداية.. فإننا سنقوم بالعمل بأنفسنا.. فإذا جاءنا خمسة نزلاء، ودفع كل منهم سبعة جنيهات في الأسبوع.. فإن..

*****

وحلَّقت "**مولي**" في سماء الخيال.. وأمعنت في التفاؤل.. وترجمت أحلامها الوردية إلى لغة الأرقام، ووجدت أن الربح المرتقب يشجع على المغامرة.

قالت في النهاية:

–ولا تنس يا "**جايلز**" أننا سنكون في بيتنا.. نحن الآن نقيم في غرفة مؤقتة. ندفع أجرها كل أسبوع. فإذا لم ننتهز هذه الفرصة فقد تمضي سنوات قبل أن يصبح لنا بيت خاص.

ولم يسع "**جايلز**" إلا الاعتراف بأنها على حق.. فقد تم زواجهما بسرعة، وعاشا منذ ذلك الوقت في غرفة مؤقتة.. في بيت حافل بالنزلاء، ولم ينعما قط بالحياة الزوجية بمعناها الصحيح..

كانا أشبه بمن يعيشان في ثكنة عسكرية.. فهما يتناولان الطعام في الموعد الذي تحدده صاحبة البيت ولا يتناولان من ألوانه إلا ما تختاره هي لهما..

*****

وهكذا بدأت المغامرة الكبرى.. وأعلنا في الصحيفة المحلية وفي جريدة "**التايمز**" عن موعد افتتاح قصر "**مانكسويل**"، وجاءتهما رسائل من بعض أشخاص يرغبون في الإقامة بالفندق.

وكان اليوم، هو الافتتاح الذي ينتظران فيه قدوم النزلاء.. فانطلق "**جايلز**" بسيارته في ساعة مبكرة؛ لشراء أسلاك من مخلفات الجيش التي أعلن عن بيعها في إحدى المدن القريبة، وهرولت "**مولي**" إلى القرية المجاورة؛ لشراء بعض ما يلزم الفندق.

كان كل شيء على ما يرام فيما عدا الجو، فقد اشتد البرد في اليومين الأخيرين وبدأ الجليد الآن يتساقط.

وأسرعت "**مولي**" الخطى، ندف البرد تُغطي كتفيها وشعرها الأشقر الجميل.

كانت تفكر فيما جاء بنشرة الأرصاد الجوية التي أذيعت في الصباح.. لقد تنبأت هذه النشرة بعاصفة ثلجية وشيكة.. وها هي ذي تتحقق.

إن كل ما ترجوه "**مولي**" الآن هو ألا تتجمد المياه في الأنابيب.. حقًّا، إنه لمن المحزن أن تسوء الأمور على هذا النحو منذ البداية. ونظرت "**مولي**" إلى ساعتها.. لقد فات موعد تناول الشاي. .ترى هل عاد "**جايلز**" من مهمته..؟ وماذا كان شعوره حين بحث عنها في الفندق ولم يجدها..؟ ذلك؛ لأنها لم تكن قد أنبأته عن عزمها على الذهاب إلى القرية.. سيسألها حتماً أين كانت، فتجيبه:

- كان لابد لي أن أذهب إلى القرية؛ لأشتري حاجات كنت قد نسيتها.

فيضحك ويقول:

- مزيد من المعلبات طبعًا..

وينفجران ضحكًا.

*****

كانت المعلبات موضوع تندر بينهما.. فهما يبحثان دائمًا عن الأطعمة المحفوظة.. بأنواعها المختلفة، ويبتاعان منها كل ما يجدانه، حتى لا تحدث في الفندق أزمة طعام. أما الزيوت والدهنيات، فكانت لديهما منها كمية كافية؛ لمواجهة كافة الطوارئ. ونظرت "**مولي**" إلى السماء وقطبت حاجبيها.. كان واضحًا أن الطوارئ على الأبواب.. وأنها ستعمل بأسرع مما كانا يتوقعان. ووجدت "**مولي**" الفندق خاليًا فلم يكن "**جايلز**" قد عاد بعد.

ذهبت إلى المطبخ أولاً.. ثم ارتقت درج السلم، وطافت بغرف النوم التي تم إعدادها أخيراً..

لقد تم الاتفاق بينها وبين "**جايلز**" على طريقة توزيع النزلاء على الغرف، فالسيدة "**بويل**" ستقيم في الغرفة الجنوبية ذات الجدران المغطاة بخشب الأرو،

والعقيد "**متكالف**" سيقيم بالغرفة الزرقاء. أما السيد "**رين**" فإنه سيحتل الغرفة الشرقية ذات النافذة الكبيرة.. والغرف كلها أنيقة وجميلة ، ومن حسن الحظ أن العمة "**كاترين**" تركت في القصر كمية وفيرة من البياضات والأغطية.. تسد حاجة الفندق لسنوات عديدة قادمة. وأعادت "**مولي**" تنظيم بعض قطع الأثاث.. وهبطت إلى الطابق الأرضي. وكان الليل قد أرخى سدوله.. فبدا الفندق فجأة ساكنًا خاويًا.. كان قائمًا في بقعة منعزلة.. تبعد نحو ثلاثة كيلومترات عن القرية.. بل عن أي مكان آخر مأهول.

وكثيرًا ما وجدت "**مولي**" نفسها وحيدة فيه.. ولكن لم يحدث من قبل أنها أحست بمثل هذه الوحشة. وراحت قطع الجليد ترتطم بزجاج النوافذ محدثة أصواتًا خافتة هامسة توتر الأعصاب، وأخذت الخواطر المزعجة تلح على "**مولي**".. هب أن "**جايلز**" لم يستطع العودة!! هب أن سيارته لم تستطع مواصلة الرحلة؛ بسبب تراكم الجليد!! هب أنها اضطرت إلى البقاء وحدها في الفندق الخاوي يومًا أو أيامًا!! وأجالت البصر فيما حولها في المطبخ. وكان مطبخا فسيحًا خليقًا بأن تشرف عليه طاهية ممتازة، وعدد من المساعدين.. ورأت "**مولي**" بعين خيالها مائدة كبيرة في وسط المطبخ، تتصدرها طاهية ضخمة الجسم تحتسي قدحًا من الشاي الأسود، وتطحن بفكيها كعكة شهية.. بينما تقف بجوارها مسؤولة الغرف، وامرأة أخرى تعني بالنظافة.. وثالثة تساعد الطاهية في أعمال المطبخ. وبستاني شاب يعمل في الحديقة ليعيد إليها مجدها.

ولكن هذه الصورة الخيالية المشرقة ما لبثت أن تلاشت.. ووجدت "**مولي دافيز**" نفسها وحيدة في المطبخ الكبير، وأحست على الفور بأنها تقوم بدور لم تخلق له.. وأن كل شيء في حياتها الجديدة يبدو غير طبيعي.. وفجأة.. رأت ظلاً يمر بالنافذة.. فوثب قلبها بين ضلوعها.. ها هو ذا رجل غريب يطوف حول

المكان.. ثم سمعت صوتًا مريبًا ينبعث من باب المطبخ. ثم فتح الباب، ووقف الرجل الغريب على عتبته، وراح يهزُّ معطفه بيديه، ليزيل ما علق به من قطع الجليد. وانكمشت "**مولي**" في مكانها.. ولكن ما إن رفع الغريب رأسه حتى عرفته وصاحت:

– "**جايلز**".. أهذا أنت؟! كم أنا سعيدة بعودتك.

بهت "**جايلز**" لحظة.. فإنه لم يتوقع أن يجدها في المطبخ.. وكان ظهورها مفاجأة له. هتف:

– "**مولي**"!! ماذا تفعلين هنا في الظلام بحق السماء؟! يا له من جو قذر!! إن أطرافي توشك أن تتجمد.

وضرب الأرض بقدميه لينفض قطع الثلج عن حذائه. وراح يفرك كفيه بقوة ونشاط، ثم خلع معطفه وألقى به على أحد المقاعد.. فتناولته "**مولي**"، وأخرجت من جيوبه جريدة مطوية كيفما اتفق، وحزمة من الخيوط، وبعض الرسائل التي وردت ببريد الصباح، ووضعت ذلك كله على مائدة المطبخ، وشرعت تعد الشاي. سألته:

– هل اشتريت الأسلاك؟ لقد طال غيابك حتى خشيت ألا تستطيع العودة.

فأجاب:

– لم تكن الأسلاك من النوع المطلوب، وما كانت لتفيدنا، وقد بحثت عن غيرها في بعض متاجر المخلفات.. ولكن دون جدوى، وماذا فعلت أنت في غيابي؟ أظن أن أحداً من النزلاء لم يحضر بعد..؟

– أنت تعلم أن السيدة "**بويل**" لن تحضر قبل صباح الغد.

– ولكن العقيد "**متكالف**" والسيد "**رين**" كان يجب أن يحضرا اليوم.

– لقد أرسل العقيد "**متكالف**" بطاقة قال فيها: «إنه لن يحضر إلا غداً.»

– إذن فلن يكون معنا الليلة سوى السيد "**رين**".. ترى أي رجل هو..؟

أعتقد أنه موظف متقاعد.. هل لديك أية فكرة..؟

– أكبر الظن أنه فنان.

– في هذه الحالة يجب أن نتقاضى منه أجر أسبوع مسبقًا.

– كلا يا "**جايلز**".. إن النزلاء يحضرون بحقائبهم. فإذا عجزوا عن الدفع حجزنا الحقائب..

– ولكن هبي أن الحقائب لا تحتوي إلاّ على قطع من الحجارة ملفوفة بورق الصحف..؟ الواقع يا "**مولي**".. أننا لا نعرف كل أسرار هذه المهنة ومفاجآتها.. وكل ما أرجوه ألا يشعر النزلاء بأننا حديثا عهد بهذا العمل.

فقالت "**مولي**":

– أنا واثقة بأن السيدة "**بويل**" ستشعر.. أنها من ذلك الطراز الفضولي الذي يدس أنفه في كل شيء.

– وما أدراك..؟ هل تعرفينها من قبل..؟

فصمتت "**مولي**" ولم تجب، ونشرت إحدى الصحف على المائدة.. وجاءت بقطعة من الجبن، أضافت إليها بعض البطاطس المسلوقة وكسر الخبز فسألها "**جايلز**": .

– ما هذا..؟.. ماذا تصنعين؟

– سأطهو نوعًا من الفطائر التي يصنعها أهل "**ويلز**"..

– يا لك من طاهية بارعة!!

– الواقع أنني أعرف مم تصنع هذه الفطائر؟ ولكنني لا أعرف المقادير المناسبة من الجبن والبطاطس والخبز.

وصمتت قليلاً ثم أردفت:

– ليس هناك ما يزعجني من وجبات الطعام سوى وجبة الفطور.

– لماذا..؟

– لأنها تُحتم إعداد أشياء كثيرة في وقت واحد.. البيض والجبن والحليب والقهوة و"التوست".. فيفور الحليب ويحترق "التوست"، وتبرد القهوة، ويجف البيض. إن إعداد وجبة الفطور يتطلب نشاطًا وسرعة.

فقال "**جايلز**" وهو يبتسم:

– سأتسلل إلى المطبخ غداً صباحًا؛ لأرى كيف ستواجهين الموقف؟

فصاحت "**مولي**":

– إن الماء يغلي.. هل نتناول الشاي في قاعة المكتبة، لكي نستمع هناك إلى الإذاعة ؟ لقد حان موعد إذاعة نشرة الأخبار..

– يبدو أننا سنقضي جل وقتنا بعد اليوم في المطبخ. ولهذا يحسن أن نضع هنا جهاز راديو آخر.

– ما أمتع العمل في المطابخ!! إنني أحب هذا المطبخ بالذات، وأعتقد أنه أجمل مكان في هذا البيت.. ليتني أستطيع تشغيله بكل طاقاته على أوسع نطاق.

– لكي يستهلك من الوقود في يوم واحد كل نصيبنا من التموين طول العام!

– هذا صحيح.. ولكن فكر في الشواء اللذيذ، والفطائر الشهية وألوان الطعام المختلفة التي يمكن طهوها في الأفران.

– هذا ترف لا طاقة لنا به.. هلمي بنا نسمع نشرة الأخبار.

*****

كان الجانب الأكبر من الأنباء يتناول حالة الجو، والتغييرات المنتظرة، والتحذير من عاصفة ثلجية متوقعة.. أما بقية الأنباء فتناولت الموقف الدولي المتأزم، ومناقشات مجلس النواب، وجريمة قتل حدثت بشارع "**كالفر**".

قالت "**مولي**" وهي تغلق الراديو:

– لا شيء يستحق الذكر.. كلها أنباء مزعجة .. وأراهنك على أن المذيع سيردد بعد قليل حديثه المألوف عن ضرورة الاقتصاد في استخدام الوقود.. ماذا يريد هؤلاء الناس بالتحديد؟ أن نطفئ المواقد ونقبع في مقاعدنا حتى تتجمد أطرافنا؟ وبهذه المناسبة.. أظن أنه ما كان ينبغي أن نفتتح الفندق في فصل الشتاء. كان يجدر بنا أن نفتتحه في الربيع.

ثم استطردت قائلة بصوت خافت:

– ترى من تلك المرأة المسكينة التي قتلت في شارع "**كالفر**"..؟

– السيدة "**ليون**"..؟

– هل كان ذلك اسمها..؟ ترى من قتلها..؟ ولماذا قتلها..؟

– لعلها كانت تخفي ثروة في شقتها.

– عندما يتحدثون في الصحف والإذاعة عن جريمة قتل، يقولون:

إن البوليس يرغب في مقابلة شخص شوهد بالقرب من مسرح الجريمة.. فهل معنى ذلك أن هذا الرجل هو القاتل؟

– غالبًا ما يكون هو، وذلك هو أسلوب رجال الشرطة المألوف في توجيه الاتهام.

وفي هذه اللحظة، دقَّ جرس الباب الخارجي فجأة، فمزق رنينه السكون الشامل.. وأجفل الزوجان، ونظر كل منهما إلى الآخر. وابتسم "**جايلز**" وقال بلهجة مسرحية:

– هذا جرس الباب الخارجي.. لقد جاء القاتل فأفرخ روع "**مولي**".

وابتسمت بدورها وقالت:

– أسرع إذن.. لابد أن يكون القادم هو السيد "**رين**".. سترى الآن أينّا كان أقرب إلى الحقيقة في حدسه وتوقعاته عنه.

- 2 -

دخل السيد "رين" مسرعًا، ودخلت معه عاصفة من الريح وقطع البرد، ووقفت "مولي" بباب قاعة المكتبة ترقب القادم، ولكنها لم تر منه إلا ظلاً على صفحة بيضاء يحيط بها إطار الباب.. تمامًا كما بدا لها زوجها منذ قليل حين وقف بباب المطبخ فقالت لنفسها:

– ما أشد تشابه الرجال جميعًا في معاطفهم السوداء وقبعاتهم القاتمة والشملات التي يلفونها حول أعناقهم..!! وأسرع "جايلز" إلى الباب فأغلقه في وجه الريح والجليد، بينما وضع السيد "رين" حقيبته على الأرض، ورفع الشملة التي تحيط بعنقه وألقى بقبعته جانبًا، وانطلق في الحديث.. فعل كل ذلك بسرعة وفي وقت واحد..

ورأت "مولي" في ضوء الثريات المتدلية من سقف البهو شابًا في مقتبل العمر، شاحب اللون، أشقر الشعر.. قلق العينين.. كان يقول بصوت حاد النبرات:

– يا له من جو مخيف! ها هو ذا الشتاء الإنجليزي في أسوأ صوره.. لابد أن يكون الإنسان واسع الصدر، مطبوعًا على المرح؛ لكي يحتمل هذا الجو دون سخط أو تذمر.. أليس كذلك..؟ إن رحلتي من "ويلز" إلى هنا كانت أسوأ رحلة قمت بها في حياتي.. هل أنت السيدة "دافيز"..؟ كم أنا سعيد بلقائك!!

وشد على يدها بقوة وسرعة، واستطرد قائلاً:

– إنك تختلفين تمامًا عن كل ما تخيلته عنك.. كنت أتصور أنني سأجد أرملة لأحد العسكريين القدامى.. تجتر ذكرياتها عن حياة الإنجليز في "الهند" والمستعمرات البريطانية.. هل لديك أزهار صناعية وطيور زينة؟

– كلا . .

– حمداً لله!! أظن أنني سأحب هذا المكان. كنت أخشى أن أجده قصراً عتيقًا متداعيًا من تلك القصور الأثرية التي أكل عليها الدهر وشرب.. ولكني أرى قصراً أنيقًا على الطراز الفيكتوري له طابع البيوت الحديثة..وبه كل مستلزمات الحياة العصرية.. ولكن أنبئيني.. هل يوجد لديك شيء من الأثاث القديم المصنوع من الأخشاب الثقيلة.. وعليه نقوش محفورة.. تمثل أنواع الفاكهة أو ما يشبه ذلك؟ كان يتكلم بسرعة وبعبارات متلاحقة كالسيل.. والكلمات تتزاحم في فمه تزاحماً.. حتى خُيل إلى "**مولي**" أنه لن يسكت أبداً. فلما سكت، تنفست الصعداء وقالت ببطء:

– الواقع أن لدينا بعض قطع من الطراز الذي ذكرته.

– أحقًا..؟ هل أستطيع أن أراها الآن..؟ فوراً..؟ أين هي؟!

– في قاعة الطعام..

ونظرت إلى باب في البهو، فأسرع إليه السيد "**رين**" وفتحه بسرعة، ودخل، وأضاء النور.

وتبعته "**مولي**"، وحانت منها التفاتة إلى زوجها، ورأت في عينيه نظرة استياء. ورأى السيد "**رين**" في صدر قاعة الطعام دولابًا ضخماً دقيق الصنع تزين قوائمه نقوش جميلة محفورة في الخشب، وكان الدولاب مليئًا بالصِّحاف، والأطباق وأدوات المائدة.

وعندما دخلت "**مولي**" القاعة، ورأت السيد "**رين**" يهرول نحو الدولاب، ويقف أمامه مشدوهاً.. ثم أبصرته يتحسس النقوش في رفق كما لو كان يدلل شيئًا عزيزاً قريباً إلى قلبه.. وسمعته يهتف قائلاً:

– يا إلهي..!! إنه قطعة فنية رائعة.

وبعد أن ملأ عينيه من الدولاب، أجال الطرف فيما حوله في أنحاء القاعة،

ثم قال لـ"**مولي**" وفي عينيه نظرة تأنيب:

- ألا توجد مائدة طعام كبيرة تتناسب مع هذا الدولاب الرائع..؟ هل استبدلتها بهذه الموائد الصغيرة المبعثرة في أرجاء القاعة..؟

فأجابته "**مولي**":

- ظننا أن النزلاء يفضلون هذه الموائد.

- لاشك في أنك على حق أيتها العزيزة، إنما كانت ملاحظتي صدى لما أشعر به من إعجاب واعتزاز بالأثاث القديم، وطبيعي لو كانت هنا المائدة الكبيرة لوجب استكمالاً للصورة أن تجلس حولها الأسرة المناسبة.. أسرة تتألف من أب صارم ذي لحية تغطي صدره، وأم متهالكة، وأحد عشر ابنًا وابنة، ومربية حازمة.. وفتاة فقيرة من أحد فروع الأسرة تساعد على جميع الأعمال وتعد نفسها سعيدة إذ وجدت بيتًا كريمًا يؤويها.. انظري إلى هذا الموقد الجميل، وتصوري ألسنة اللهب وهي تندلع منه فتلقي وهجًا على ظهر رب الأسرة..فقال "**جايلز**" وقد ضاق ذرعا بهذه الثرثرة:

- سأحمل حقيبتك إلى غرفتك.. إنها الغرفة الشرقية.. أليس كذلك يا "**مولي**"..؟

- بلى..

وحمل "**جايلز**" الحقيبة، وارتقى بها درج السلم، بينما غادر السيد "**رين**" قاعة الطعام وعاد إلى البهو سأل:

- هل لفراشي أربعة أعمدة طويلة..؟

فأجاب "**جايلز**" من أعلى الدرج:

- كلا..

فتحول السيد "**رين**" إلى "**مولي**" وقال:

- لا أظن أن زوجك سيحبني..

ماذا كان عمله..؟ هل كان في البحرية؟

– نعم.

– ذلك ما توقعته.. إن رجال البحرية أكثر صلابة من رجال الجيش والطيران..

– هل مضى على زواجكما وقت طويل..؟ وهل تحبينه كثيراً..؟

– لعلك تريد رؤية غرفتك.

– بالتأكيد.. بالتأكيد.. يُخيل إليّ أن أسئلتي كانت بعيدة عن الكياسة.. ولكني في الواقع أحب أن أعرف كل شيء عن كل الناس، إنه لشيء مثير أن يعرف الإنسان أكبر قدر من المعلومات عن الآخرين.. ألا ترين ذلك..؟ إنني أتوق بصفة خاصة إلى معرفة مشاعر الناس، وكيف يفكرون؟ وليس فقط من هم؟ وماذا يفعلون؟

فقالت "**مولي**" في شيء من الضيق:

– أنت السيد "**رين**" فيما أعتقد.

فجمد الشاب في مكانه ثم دق جبينه بيده وصاح:

– هذا مخيف حقًا.. دائماً أهمل الأولويات!!

– نعم.. أنا أدعى "**كريستوفر رين**".. وأرجوك ألا تضحكي.. لقد كان أبي رجلاً واسع الخيال.. وكان يرجو أن أصبح مهندسًا، ولذلك أسماني "**كريستوفر**".. تيمناً باسم المهندس المشهور "**كريستوفر رين**".

فقالت "**مولي**" وهي لا تتمالك نفسها عن الابتسام:

– وهل أنت مهندس..؟

فأجاب بلهجة الظفر:

– نعم، أنا مهندس، أو أكاد أكون مهندساً. إنني لست مؤهلاً تماماً.. ولكني بالنسبة إلى أبي أمثل حلماً يتحقق، ولكني أخشى أن يصبح اسمي عقبة في

طريق نجاحي؛ لأنني لن أصبح أبداً مثل "**كريستوفر رين**" .. ولكن من يدري..! فقد تحرز (بيوت "**كريستوفر رين**" الجاهزة) شهرة عالمية في يوم ما.

وعاد "**جايلز**" في هذه اللحظة فقالت "**مولي**" :

– سأريك غرفتك يا سيد "**رين**" .

وسألها "**جايلز**" عندما عادت بعد بضع دقائق:

– هل أعجبه أثاث الغرفة..؟

– لقد أصر على أن يكون لفراشه أربعة قوائم مرتفعة.. ولذلك ذهبت به إلى الغرفة الوردية.

فقلب "**جايلز**" شفته وهمس قائلاً:

– يا له من معتوه!!

فقالت "**مولي**" بشيء من الحدة:

– أصغ إليّ يا "**جايلز**" .. إن هؤلاء الناس ليسوا ضيوفنا.. وليسوا مدعوينا إلى سهرة نقيمها.. ولكنهم نزلاء في فندق.. هذا عمل.. وسواء أعجبك "**كريستوفر رين**" أم لم يعجبك.. فإن..

فقاطعها "**جايلز**" :

– إنه لا يعجبني.

– ذلك لا يقدم ولا يؤخر.. إنه سيدفع سبعة جنيهات أسبوعيًا، وهذا هو المهم..

– ذلك إذا دفع..

– لقد وافق على الدفع.. وخطابه تحت أيدينا.

– هل نقلت حقيبته إلى الغرفة الوردية..؟

– إنه نقلها إلى هناك بالتأكيد.

– يا له من شهم!! لقد ظننت أنه تركك تحملينها، ومهما يكن من أمر..

فإن حملها ما كان ليرهقك.. إنها خفيفة، ومن المحقق أنها لا تحتوي على قطع من الحجارة الملفوفة بورق الصحف.. إنها من الخفة بحيث يخيل إليّ أنها فارغة.

فقالت "**مولي**" محذرة:

– صه.. ها هو ذا قادم.

وذهبت "**مولي**" بضيفها إلى قاعة المكتبة.. وكانت قاعة فسيحة جميلة بها مقاعد كبيرة مريحة.. ومدفأة تتلظى فيها النيران.. وهناك قالت له إن العشاء سيكون مُعَداً بعد نصف الساعة.

وأجابت على أحد أسئلته بقولها:

– إنها لا تتوقع قدوم نزلاء آخرين في ذلك المساء.

فقال الشاب:

– ما دام الأمر كذلك، فهل ثمة ما يمنع من أن أساعدك على أعمال المطبخ.. في استطاعتي أن أقلي البيض.

وانتقلوا جميعًا إلى المطبخ.. وتعاون "**كريستوفر رين**" مع الزوجين في طهو الطعام، وغسل الصحاف، ولكن "**مولي**" أحست بأن هذه ليست البداية الصحيحة لعمل يرجى له النجاح. ولم يخف "**جايلز**" استياءه من كل ما حدث.. وقالت "**مولي**" لنفسها، وهي تستلقي على فراشها:

– سيختلف الأمر غداً عندما يأتي بقية النزلاء..

- 3 -

وجاء الغد بسماء مظلمة.. وبرد أشد قسوة.. وجليد يتساقط بغير هوادة. وقطب "**جايلز**" حاجبيه، وانخلع قلب "**مولي**". إن الجو سيزيد الأمور تعقيداً، وقد يفسد كل شيء.

وجاءت السيدة "**بويل**" بإحدى سيارات الأجرة، وتحدث السائق عن الجو، وأكوام الجليد التي تسد الطرق، وتعرقل المواصلات حديثًا لا يدعو إلى التفاؤل.قال:

– أكبر الظن أن العاصفة الثلجية ستزداد عنفًا قبل هبوط الظلام. إن جميع الدلائل تنبئ بأن الجو سيزداد سوءاً.

*****

ولم يساعد وجود السيدة "**بويل**" على تلطيف جو الكآبة الذي ساد الفندق بسبب تفاقم العاصفة.. فقد كانت امرأة ضخمة الجسم، عابسة الوجه، تتكلم بصوت رنان، وبلهجة الأمر، ولعلها كانت تضفي على نفسها من الأهمية أكثر مما تستحق؛ نتيجة للمناصب الرئيسية التي شغلتها في الجيش إبان الحرب. قالت وهي تنظر حولها في استنكار:

– لو علمت أن هذا الفندق حديث عهد بالعمل لما فكرت في الإقامة به.. لقد تبادر إلى ذهني أنه فندق عريق منظم، يدار على أسس علمية..

فقال "**جايلز**":

– إذا كان المكان لا يرضيك فليس ثمة ما يرغمك على الإقامة فيه يا سيدة "**بويل**"..

– بالتأكيد ليس هناك ما يرغمني على الإقامة فيه.

– هل أتصل تليفونيًا بمن يرسل إليك إحدى سيارات الأجرة يا سيدة "**بويل**"..؟ إن الجليد لم يسد الطريق بعد، فإذا كان قد حدث سوء فهم فمن الأفضل أن تذهبي إلى أي مكان آخر.

فرمقته السيدة "**بويل**"بنظرة حادة وقالت:

– من المؤكد أنني لن أترك المكان قبل أن أختبره.. هل لك أن تأتيني

بمنشفة كبيرة للحمام يا سيدة "**دافيز**" .. إنني لم أتعود أن أجفف جسدي بمنديل.

فابتسم "**جايلز**"، ومضت السيدة "**بويل**" إلى غرفتها، وقالت "**مولي**" تُحدِّث زوجها:

– خيراً ما فعلت أيها العزيز.. إنك عرفت حقًا كيف تتعامل معها

– إن المتعجرفين من أمثال هذه المرأة لا يردعهم إلا أن يعاملوا بالمثل..

– إنني أتساءل كيف ستكون الصلة بينها وبين شخص مثل "**كريستوفر رين**"..؟

– لا أعتقد أنه ستكون بينهما أية صلة ودية.

وحدث فعلاً بعد ظهر ذلك اليوم أن قالت السيدة "**بويل**" لـ "**مولي**" بلهجة الاشمئزاز:

– هذا المدعو "**كريستوفر رين**".. يخيل إليّ أنه شاب غريب الأطوار.

وجاء الخباز وهو يرتدي من الثياب ما يحمل على الظن بأنه يقوم باكتشاف القطب الشمالي.. فقدم لـ "**مولي**" حاجتها من الخبز.. وعبر لها عن ارتيابه في أنه سيستطيع موافاتها بالخبز كل يومين كما وعد. قال لها:

– إن الجليد يسد الطريق ويزداد ارتفاعًا ساعة بعد أخرى، أرجو أن يكون لديك من المؤن ما يكفيك.

فقالت "**مولي**":

– الواقع أن لدينا كمية من المعلبات، وأظن أنه يحسن بي أن أختزن بعض الدقيق لأصنع منه خبزاً عند الضرورة.

وكان الخباز قد أحضر لها الصحف كذلك، فوزعتها على الموائد في البهو. ولم يكن هناك من الأنباء السياسية ما يثير الاهتمام. ولذلك احتلت الأحوال الجوية وتفصيلات جريمة مقتل السيدة "**ليون**" الصفحات الأولى من

الجرائد.

وكانت "**مولي**" تتأمل صورة السيدة "**ليون**" في الجريدة حين سمعت صوت "**كريستوفر رين**" من خلفها وهو يقول:

– جريمة مفزعة.. أليس كذلك..؟ امرأة مسكينة.. في شارع فقير.. يستحيل أن يكون وراء مثل هذه الجريمة قصة مثيرة.

فقالت السيدة "**بويل**" باشمئزاز:

– لا شك في أن هذه المخلوقة لم تلق أكثر مما تستحق. فنظر إليها "**كريستوفر رين**" بحدة وقال:

– أتعتقدين إذن أنها جريمة شرف..؟

– أنا لم أقل شيئًا بهذا المعنى يا سيد "**رين**".

– ولكنها قتلت خنقًا.. أليس كذلك..؟

ثم بسط يديه الطويلتين إلى الأمام، واستطرد قائلاً:

– ترى ما شعور القاتل حين يخنق شخصًا؟

– كفى يا سيد "**رين**".

ولكن "**كريستوفر**" تحرك نحوها ببطء وهو لا يزال باسطًا يديه إلى الأمام، وقال بصوت خافت:

– هل فكرت مرة يا سيدة "**بويل**":

كيف يكون شعور الضحية حين ينشب القاتل أظفاره في عنقها..؟

فصاحت السيدة "**بويل**" مرة أخرى باستنكار:

– كفى.. كفى يا سيد "**رين**".

وأرادت "**مولي**" أن تضع حدًا لما يجري بين "**كريستوفر**" والسيدة "**بويل**" فقرأت في الصحيفة بصوت مرتفع:

« ... ويبحث رجال الشرطة عن رجل متوسط القامة يرتدي معطفًا أسود

وقبعة خفيفة داكنة اللون ويحيط عنقه بشملة من الصوف..».

- كلنا ذلك الرجل.. من منا لا يرتدي معطفًا أسود، وقبعة داكنة اللون، ويحيط عنقه بشملة من الصوف..؟

فقالت "**مولي**":

- صدقت.

- 4 -

فتح "**بارمنتر**"، كبير مفتشي "**اسكتلانديارد**" درج مكتبه، وأخرج ملفًا وضعه أمامه، وقال يحدث المفتش "**كين**":

- هأنذا على استعداد لمقابلة هذين العاملين يا "**كين**"...

- حسنًا يا سيدي.

- ما رأيك فيهما..؟

- يخيل إليّ أنهما رجلان بسيطان من طبقة الكادحين الأمناء الذين يوثق بصدقهم.

- حسنًا.. جئني بهما..

- وبعد لحظة.. دخل الغرفة رجلان يرتديان خير ما عندهما من ثياب، وتبدو عليهما دلائل الارتباك.. فرمقهما "**بارمنتر**" بنظرة سريعة كانت كافية لتقييمهما..وكان الرجل بارعًا في طمأنة الناس وتهدئة روعهم. فقال وعلى شفتيه ابتسامة عذبة:

- أتعتقدان حقًّا أن لديكما معلومات قد تفيدنا في قضية مقتل السيدة "**ليون**"..؟ لقد أحسنتما صنعًا بقدومكما.. تفضلا بالجلوس.. هل تدخنان..؟ وقدَّم لفافة تبغ لكل منهما وانتظر حتى أشعلا لفافتيهما ثم قال:

– إن الجو في الخارج رهيب.. أليس كذلك؟

– بلى، يا سيدي..

– والآن.. ماذا عندكما من المعلومات؟

فنظر كل من الرجلين إلى الآخر واشتد ارتباكهما، وأخيرًا قال أطولهما قامة:

– تكلم يا "**جو**"..

وتكلم "**جو**" قائلاً:

– إليك ما حدث يا سيدي.. لم يكن معنا عود ثقاب (كبريت)..

– أين حدث ذلك؟

– في شارع "**جارمان**".. كنا نعمل في إصلاح ماسورة الغاز الرئيسية..

فهزّ "**بارمنتر**" رأسه مؤمنًا على حديث "**جو**"..

– إنه يستطيع التحقق من الزمان والمكان بمزيد من الدقة فيما بعد..

– أما الآن.. فإنه لا يجب أن يحاصر مُحدثه بالأسئلة حتى لا يزيده ارتباكًا.. كان يعلم أن شارع "**جارمان**" يقع بالقرب من شارع "**كالفر**" حيث ارتكبت الجريمة.

قال مشجعًا:

– نعم، لم يكن معكما عود ثقاب.

– كانت علبة الثقاب قد فرغت.. كذلك عطبت ولاعة زميلي "**بيل**"، ووقع بصري على رجل يمر بالشارع على مقربة منا فاستوقفته وقلت له:

– هل أجد معك عود ثقاب أيها السيد..؟

ولم يخامرني الشك في أمره في ذلك الوقت. كان مجرد عابر سبيل مثل كثيرين غيره.

وهنا هزّ "**بارمنتر**" رأسه مؤمنًا على كلامه مرة أخرى، ومضى "**جو**" في

حديثه.. فقال:

– وأعطانا الرجل عود ثقاب دون أن ينطق بكلمة. فقال له صديقي "**بيل**":

– إن البرد شديد اليوم.. أليس كذلك؟ فأجاب الرجل بصوت خافت كالهمس:

– بلى.. إنه شديد.

وقد خُيل إليّ من صوته أنه مصاب ببرد.

وشكرته .. ورددت إليه علبة الثقاب.. ومضى في سبيله مسرعًا.. وبلغ من سرعته أنني عندما وجدت شيئًا سقط منه، وناديته.. لم يصل إليه صوتي.. كان ذلك الشيء هو دفتر صغير يبدو أنه أخرجه من جيبه مع علبة الثقاب فسقط منه دون أن يشعر.. ناديته، وصحت قائلاً:

– أيها السيد.. لقد سقط منك شيء.

ولكنه لم يسمعني.. واستمر يمشي بسرعة، حتى غاب عن عيني في منحنى الطريق.. أليس كذلك يا "**بيل**"؟ فقال المدعو "**بيل**":

– بلى.. كان مسرعًا كالأرنب المذعور.

قال "**جو**":

– انحرف الرجل إلى شارع "**هارو**" وغاب عن أبصارنا، ولم يكن ثمة أمل في أن نلحق به وهو يسير بتلك السرعة. ثم إن الدفتر الصغير كان شيئًا لا أهمية له، وليست له قيمة حافظة النقود مثلاً.. فقلت لصديقي:

– يا له من رجل غريب الأطوار!! أرأيت كيف أرخى قبعته على وجهه حتى كادت تخفي عينيه، وكيف أحكم أزرار ثوبه حتى بدا أشبه باللصوص الذين تراهم في الأفلام..؟ ذلك ما قلته لصديقي "**بيل**".. أليس كذلك يا "**بيل**"..؟

فقال "**بيل**" موافقًا:

– بلى، ذلك ما قلته تماماً.

قال "**جو**":

– أليس عجيباً أن أقول ذلك، وأنا لا أعرف عن الرجل شيئًا..؟ كل ما ظننته أنه ربما كان يسرع الخطى لكي يعود إلى بيته في أقرب وقت، ولا عجب فقد كان الجو شديد البرودة.

فقال "**بيل**":

– نعم، كان البرد شديداً جداً.

ومضى "**جو**" في حديثه، قال:

– قلت لصديقي "**بيل**":

– دعنا نلقي نظرة على هذا الدفتر الصغير لنرى مدى أهميته.. وتصفحت الدفتر، ولم أجد به سوى عنوانين. أحدهما للمنزل رقم 74 بشارع "**كالفر**"، والثاني لقصر ذي اسم غريب لا أذكره.

فقال "**بيل**":

– نعم.. كان اسماً شديد التعقيد..

قال "**جو**" بلهجة الواثق بنفسه:

– وعندما قرأت العنوان الأول، قلت لزميلي "**بيل**":

– إن شارع "**كالفر**" قريب من هنا.. فدعنا نذهب إليه بعد فراغنا.

– وقال "**بيل**":

– يجب أن نتحقق من الرقم.. وقصدنا إلى البيت الذي حدثت فيه الجريمة. ولما وجدنا أن رقمه 74. تباحثنا في الأمر، فقال "**بيل**":

– ربما لا توجد أية صلة بين الدفتر والجريمة..

فقلت له:

– ولكن ربما توجد صلة.

وبعد كثير من الأخذ والرد سمعنا أن رجال الشرطة يبحثون عن رجل غادر ذلك البيت عقب الجريمة. ولذلك جئنا إلى هنا، وسألنا عمن يشرف على تحقيق الجريمة. فأرشدونا إليك. وكل ما نرجوه هو ألاّ نكون قد أضعنا وقتك الثمين.

فقال "**بارمنتر**":

– إنكما أحسنتما صنعًا بالقدوم إليّ.. هل أحضرتما الدفتر؟.. شكراً، والآن.. هيا للوقوف على مزيد من التفصيلات.. وهكذا عرف الزمان والمكان والوقت على وجه التحديد. وكان الشيء الوحيد الذي لم يستطع الوقوف عليه هو أوصاف الرجل الذي سقط منه الدفتر.

كان وصفهما للرجل لا يزيد عما وصفته به صاحبة البيت. يُحيط عنقه بشملة من الصوف. ويضع في يديه قفازين ويتكلم بصوت كالهمس. وعندما انصرف الرجلان راح "**بارمنتر**" ينظر إلى الدفتر الصغير ويفكر. إنه سيرسل هذا الدفتر فورا إلى الجهات المختصة للبحث فيه عن دليل من بصمات الأصابع أو غيرها. ولكن ما يهمه الآن هو ذلك العنوان الثاني. وتلك العبارة عن «الجرذان العمياء». دخل المفتش "**كين**" في تلك اللحظة، فقال لـ.

– تعال يا "**كين**".. انظر إلى هذا..

فأطلّ "**كين**" من فوق كتف رئيسه وقرأ الكلمات: «ثلاثة جرذان عمياء» وأطلق من فمه صفيراً خافتاً..

وفي الوقت نفسه فتح "**بارمنتر**" درج مكتبه، وأخرج منه ورقة متوسطة الحجم، وضعها على مكتبه بجانب الدفتر الصغير.

كانت هذه الورقة قد وجدت مثبتة بثياب المرأة القتيل بدبوس.. وكان مكتوبًا عليها هذه الكلمات: «هذه هي الأولى». وتحتها رسم بدائي كأنه من

صنع طفل، يمثل ثلاثة جرذان. وبالقرب منها علامة حرف من حروف النوتة الموسيقية.

وهنا صفرً "**كين**" بشفتيه نغم أغنية مشهورة، تبدأ بهذه الكلمات: « ثلاثة جرذان عمياء.. انظر إليها كيف تجري؟ » فقال "**بارمنتر**":

– نعم، هذا هو النغم.. إنه علامة القاتل. أو على الأصح بصمته وتوقيعه.

– يا لها من فكرة جنونية!!!

– نعم، ولكن هل أنت واثق بشخصية المرأة؟

– كل الوثوق.. وها هو ذا تقرير إدارة البصمات.. وقد جاء فيه: "**مورين جريج**" وهو الاسم الحقيقي للمرأة التي تدعو نفسها بالسيدة "**ليون**"... وأنها كانت من نزيلات سجن "**هولواي**" وأطلق سراحها منذ شهرين بعد قضاء مدة السجن التي حكم بها عليها.

فقال "**بارمنتر**" مستطرداً:

– وبعد إطلاق سراحها، ذهبت للإقامة بالمنزل رقم 74 بشارع "**كالفر**" وأطلقت على نفسها اسم "**مورين ليون**" وكانت تُعاقر الشراب أحياناً، وحدث مرة أو مرتين أنها اصطحبت رجلاً إلى غرفتها، كان يبدو أنها لا تخشى شيئًا، ولا ترهب أحداً، وليس ثمة ما يدعو إلى الاعتقاد بأنها كانت تشك في أن هناك خطراً يتهددها. وقد دق هذا الرجل جرس الباب، وسأل عنها، فقالت له صاحبة البيت إنها في الطابق الثاني.. وكل ما قالته صاحبة البيت: في وصفه إنه متوسط القامة، ومصاب ببرد حبس صوته.

وعادت صاحبة البيت إلى مقرها في الطابق الأرضي، ولم تر أو تسمع ما يريبها.. كما أنها لم تشعر بانصراف الرجل، وبعد بضع دقائق، حملت كوب شاي إلى "**مورين جريج**" في غرفتها، فوجدتها مخنوقة. والرأي عندي

يا "**كين**" أن هذه الجريمة ليست عارضة.. ولكنها جريمة دبرت بإحكام ونفذت بدقة.

– ترى كم قصراً في "**إنجلترا**" يحمل اسم "**مانكسويل**"..؟

– يحتمل ألا يكون هناك سوى قصر واحد بهذا الاسم.

– إذا صح ذلك فإنه يكون ضربة من ضربات الحظ المهم الآن أن نبحث عن هذا القصر.. فليس لدينا متسع من الوقت.

ونظر المفتش "**كين**" إلى العنوانين المسجلين في الدفتر الصغير: 74 شارع "**كالفر**".

قصر "**مانكسويل**".

ثم تحوَّل إلى رئيسه وقال:

– هل تظن أن..؟

فقاطعه "**بارمنتر**" قائلاً بسرعة:

– نعم، فماذا تظن أنت..؟

– ذلك ممكن.. ولكن أين يوجد قصر "**مانكسويل**" هذا..؟ صبرا يا سيدي.. أستطيع أن أقسم إنني رأيت هذا الاسم أخيراً..

– أين..؟

– ذلك ما أحاول أن أتذكره.. صبراً لحظة كان ذلك في إحدى الصحف، وفي صحيفة "**التايمز**" بالتحديد.. بالصفحة الأخيرة.. في إعلانات الفنادق. والغرف المؤثثة.. تذكرت الآن.. كنت أحاول حل لغز الكلمات المتقاطعة.. إنه عدد قديم من الجريدة.. وغادر الغرفة مسرعًا، وعاد بعد قليل، وعلى شفتيه ابتسامة عريضة.. هتف:

– ها هو ذا الإعلان يا سيدي.. انظر.

فقرأ "**بارمنتر**" في الإعلان الذي أشار إليه "**كين**" بإصبعه:

«فندق قصر "**مانكسويل**" في "**هاربليدن**" بمقاطعة "**يوركشاير**" ».

صاح:

– أريد الاتصال فوراً بإدارة شرطة "**يوركشاير**".

- 5 -

وبقدوم العقيد "**متكالف**"، انتظم العمل في فندق قصر "**مانكسويل**".. ولم يكن العقيد فظًا مثل السيدة "**بويل**"، ولا مهذاراً مثل "**كريستوفر رين**" وإنما كان رجلاً في الحلقة الرابعة من عمره، رصينًا عسكريَّ المظهر. وقد أحضر حقيبتين ثقيلتين بددتا كل شكوك "**جايلز**" الذي طبع على الارتياب في قدرة النزلاء أو استعدادهم لسداد فاتورة الحساب.. وعلى الرغم من أنه لم يكن للعقيد والسيدة "**بويل**" أصدقاء مشتركون، إلاّ أنه ظهر أن العقيد يعرف أبناء عمها المقيمين بمدينة "**بونا**" وهكذا قام بينهما شيء من التفاهم. بيد أن "**مولي**" و"**جايلز**" لم يكن لديهما متسع من الوقت لبحث العلاقات بين النزلاء..

كانا يتعاونان معًا في طهو الطعام، وإعداده، وتقديمه للنزلاء، وغسل الصحاف.. وقد أعرب العقيد "**متكالف**" عن رضاه عن الطعام والقهوة. وقد أوى "**جايلز**" و"**مولي**" إلى فراشهما وهما متعبان، ولكنهما راضيان عن نفسيهما كل الرضا.. لكي يستيقظا في الساعة الثانية صباحًا على رنين جرس الباب الخارجي.. كان الرنين متصلاً وملحًا فقال "**جايلز**" وهو يتميز غيظًا:

– يا إلهي!! إنه جرس الباب الخارجي.. تُرى من ...

فقاطعته "**مولي**":

– اذهب، وانظر من القادم يا "**جايلز**" .. أسرع بحق السماء قبل أن يستيقظ النزلاء فلا نسلم من لومهم. فنظر إليها "**جايلز**" مؤنبًا، وألقى وشاحًا على كتفيه وهبط الدرج، وسمعت "**مولي**" حركة مزلاج الباب الخارجي ثم تمتمة، وحديثًا بين زوجها وشخص آخر في البهو.

واستبد بها الفضول فوثبت من فراشها وأطلت من فوق حاجز الدرج على البهو، ورأت زوجها يساعد رجلاً غريبًا ذا لحية صغيرة على خلع معطفه المثقل بالبرد، ووصل إلى سمعها جانب من حديثهما.. قال القادم بصوت مرتفع وبلكنة أجنبية واضحة:

– إن البرد من الشدة بحيث لا أكاد أشعر بأصابعي.. أما قدماي.. ودقَّ الأرض بقدميه بصوت مسموع.. فقال "**جايلز**" وهو يفتح باب غرفة المكتبة:

– ادخل هنا لتنعم ببعض الدفء ريثما أعد غرفة لإقامتك. فقال الغريب في أدب:

– حقًّا إنني سعيد الحظ.

فانحنت "**مولي**" فوق حاجز الدرج، ونظرت إلى القادم، ورأت رجلاً متقدمًا في السن ذا لحية قصيرة سوداء ،وحاجبين كثيفين.. وكان الرجل يسير بخطى سريعة نشيطة لا تتناسب مع سنه وشعره الأشيب.

ودخل الرجل قاعة المكتبة وأغلق "**جايلز**" بابها وارتقى الدرج مسرعا فوجهت إليه "**مولي**" نظرة متسائلة فابتسم "**جايلز**" وأجاب:

– ضيف جديد.. اصطدمت سيارته بأكوام الجليد وانقلبت، ولكنه استطاع الخروج منها وسار على غير هدى، حتى رأى لافتة الفندق، فكان كمن ضل طريقه في الصحراء، واهتدى أخيرًا إلى واحة ظليلة. وذلك كان تعبيره.. وصمت لحظة ثم استطرد قائلاً:

– إن العاصفة لا تزال على أشدها في الخارج.

فقالت "**مولي**" بصوت ينم عن قلقها:

– هل تظن؟ هل أنت مطمئن إليه..؟

– يا أيتها العزيزة.. إن اللصوص لا يسطون على البيوت.

– إنه أجنبي.. أليس كذلك..؟

– بلى.. واسمه "**برافتشيني**".. لقد رأيت حافظة نقوده. لقد تعمد أن يفتحها أمامي لكي أرى بطاقته واسمه.. أما الحافظة فكانت مليئة بالأوراق المالية.. إلى أية غرفة أذهب به..؟

– إلى الغرفة الخضراء.. إنها نظيفة ومرتبة ولا ينقصها إلاّ أن أعد الفراش.

فقال "**جايلز**":

– أظن أنني يجب أن أعيره إحدى بيجاماتي.. لقد ترك كل أغراضه في السيارة المقلوبة ونجا بجلده من نافذتها.

وحملت "**مولي**" أغطية الفراش والوسائد.. وأسرعت مع زوجها إلى الغرفة الخضراء.. وهناك قال "**جايلز**":

– يخيل إليّ أن الجليد سيعزلنا عن العالم تماماً، وهو أمر لا يخلو من الإثارة.. أليس كذلك..؟

فأجابت "**مولي**":

– نعم لا أعلم..

ثم هزّت رأسها في ارتياب وقالت:

– هل تظن أنني أستطيع أن أصنع خبزاً يا "**جايلز**"..؟

فأجاب الزوج المخلص:

– بالتأكيد أيتها العزيزة.. إنك تستطيعين أن تصنعي كل شيء.

– ولكني لم أصنع خبزاً قبل الآن.. لقد تعوّد الخباز أن يأتينا به وتعودنا أن

نأخذه.. سواء كان طازجًا أو غير طازج.. ولكن إذا حاصرنا الجليد فلن يكون هناك خباز.

– ولا قصَّاب ولا ساعي بريد، ولا جرائد.. وربما لا يوجد تليفون.

– لن يكون هناك سوى الإذاعة.

– من حسن الحظ أنه في استطاعتنا توليد التيار الكهربائي لإنارة الفندق.

– إذن يجب أن تعد آلة توليد التيار الكهربائي للعمل غداً صباحًا لمواجهة الطوارئ. كذلك يجب أن نختزن كمية من الفحم للتدفئة.

– إن الكمية التي لدينا قليلة..و من غير المنتظر أن يرد إلينا غيرها في وقت قريب.

– إنني أشعر بأننا مقدمون على وقت عصيب يا "**جايلز**".والآن.. أسرع إلى الضيف الجديد واذهب به إلى غرفته.. وفي صباح اليوم التالي تحققت مخاوف "**جايلز**" وحدث ما توقعه.. فقد بلغ ارتفاع الجليد خمس أقدام، وتكدس أمام الأبواب والنوافذ.. ولم يلح في الأفق ما يوحي بأن العاصفة الثلجية ستهدأ في وقت قريب..

وبدت الدنيا في الخارج بيضاء.. صامتة.. مخيفة.

- 6 -

خلت قاعة الطعام إلا من السيدة "**بويل**" التي راحت تتناول فطورها. وكان العقيد "**متكالف**"قد تناول فطوره على المائدة، وأزيلت بقايا الطعام.. أما "**كريستوفر رين**" فلم يكن قد استيقظ بعد، وكان طعامه في انتظاره على مائدته ..

وهكذا كان أحد الرجلين يستيقظ من نومه مبكرًا، والثاني يستيقظ متأخرًا.. وليس هناك من يعرف أن الموعد المقرر للفطور هو الساعة التاسعة، ولا يحترم هذا الموعد سوى السيدة "**بويل**". وفرغت السيدة "**بويل**" من تناول الفطور وكان الطعام جيداً، ولكنها كانت تتميز غيظًا وغضبًا، فإن فندق قصر "**مانكسويل**" لم يكن كما تخيلته.. كانت تأمل أن تجد فيه من يتبارى معها في لعبة (البريدج) أو أن تجد فيه عوانس تبهرهن بمركزها الاجتماعي، وتذهلهن بخطورة المناصب التي تولتها إبان الحرب. وكانت نهاية الحرب قد تركت السيدة "**بويل**" فيما يشبه حافة الصحراء.. ذلك؛ لأنها كانت في خلال الحرب تعمل باستمرار وتصدر الأوامر وتتكلم بثقة. ولا تقبل أي تهاون في العمل أو النظام. وكان نشاطها المفرط يمنع الذين يعملون معها من الارتياب في كفاءتها، وقد وجدت من أنشطة الحرب مجالاً ملائمًا لممارسة هوايتها في مضايقة الناس والتسلط عليهم.. حتى رؤساء الإدارات لم يسلموا من غطرستها ومضايقاتها.. كان يكفي أن تعبس لكي يدب الرعب في قلوب مرؤوسيها من الرجال والنساء.. ولكن هذه الحياة النشيطة المثيرة انتهت تمامًا بنهاية الحرب، فعادت السيدة "**بويل**" إلى الحياة العادية، ولكنها وجدت أن الحياة العادية التي كانت تحياها قبل الحرب قد انتهت أيضًا.. فالبيت الذي تقطنه، والذي استولى عليه الجيش لمقتضيات الدفاع.. يحتاج إلى كثير من أعمال الترميم والزخرفة لكي يصبح صالحًا لتسكنه ثانيةً.. وصعوبة الحصول على الخدم بعد الحرب تجعل سكناها في ذلك البيت الكبير أمرًا مستحيلاً.. وأصدقاؤها القدامى تشتتوا وتبعثروا. وفرقتهم ظروف الحرب.. وهكذا وجدت نفسها فجأة مضطرة إلى إعادة تنظيم حياتها على أسس جديدة تساير تطور العصر.. وكانت مشكلتهاالأولى أن تجد مكانًا لإقامتها.. وصحَّت عزيمتها على الإقامة في

أحـد الفنادق ريثـمـا تقـرر أمـراً بشـأن بيـتـهـا . . ووقع اخـتـيـارها عـلى فندق "**مانكسويل**" كمقر مؤقت لها .

*****

وأجالت السيدة "**بويل**" البصر فيما حولها وفي عينيها نظرة سخط واستياء، وقالت لنفسها :

– كان واجب الأمانة يقتضيهم أن ينبئوني بأن الفندق جديد، وأنهم حديثو عهد بالعمل .

ودفعت صحفة الطعام بعيداً عنها . .

ومن العجب أن جودة طعام الفطور، والمربى التي صنعتها "**مولي**" بنفسها . . والقهوة الجيدة التي قدمت إليها بعد الطعام، كل ذلك لم يزدها إلاّ ضيقًا وتحاملاً على الفندق وصاحبه؛ لأنه حرمها من متعة الشكوى وتوجيه اللوم والنقد . كذلك كان فراشها وثيراً مريحًا وأغطيته نظيفة أنيقة، وهي تحب الراحة والترف . . ولكن الشيء الذي كانت تحبه أكثر من الترف والراحة . . هو أن تجد عيبًا يطلق لسانها بالنقد والتأنيب .

*****

ونهضت السيدة "**بويل**" من مقعدها بعظمة وكبرياء . وغادرت قاعة الطعام، ومرت في طريقها بذلك الشاب الساخر العجيب ذي الشعر الأشقر . . وكان يرتدي رباط عنق ذا لون أخضر صارخ . . فقالت لنفسها :

– يا له من شاب سمج ! !

لم يعجبها رباط عنقه، ولم تعجبها كذلك الطريقة التي نظر بها إليها من ركن عينه .

كانت في نظرته إليها سخرية لا شك فيها.. قالت لنفسها:

- إنه مصاب بالخبل.. تلك هي الحقيقة التي لا ريب فيها..

وأحنى لها "**كريستوفر**" قامته محيياً، فردت تحيته بإيماءة خفيفة من رأسها، ثم مضت في طريقها إلى قاعة الاستقبال..

كانت المقاعد في قاعة الاستقبال فخمة مريحة.. وبخاصة ذلك المقعد الكبير الوردي اللون.. يحسن بها ألاّ تدع مجالاً للشك في أنها قد اختارت هذا المقعد ليكون مكانها المفضل.

وضعت حقيبة يدها على المقعد، إشارة إلى أنها قد حجزته لجلوسها، ثم اقتربت من أنابيب التدفئة التي تدور حول الغرفة في محاذاة جدرانها. ولمستها بيدها.. ووجدت أنها دافئة ولكنها ليست شديدة الدفء.. فلمعت عيناها، وارتسمت فيهما نظرة تحد.

لقد وجدت أخيراً شيئاً تنتقده..

ونظرت عبر النافذة.. كان الجو مخيفاً!! كلا.. إنها لن تبقى في هذا الفندق.. إلاّ إذا جاء نزلاء جدد.. وأصبحت الإقامة فيه مثيرة مسلية.

واتفق في تلك اللحظة أن انزلق بعض الجليد الذي تراكم على سطح الفندق وأحدث انزلاقه صوتاً أرعبها.

فقالت بصوت مرتفع:

- كلا، لن أبقى هنا طويلاً.

ولكنها ما كادت تنطق بهذه العبارة حتى سمعت خلفها ضحكة ساخرة مرتفعة.. فنظرت حولها.. ورأت "**كريستوفر رين**" يرمقها بتلك النظرة الغريبة..

وقال لها:

- كلا، لا أعتقد أنك ستبقين هنا طويلاً..

- 7 -

تعاون العقيد "**متكالف**" مع "**جايلز**" في إزالة أكوام الجليد التي تراكمت خلف باب المطبخ، وفي الطريق المؤدي إلى حظيرة الدجاج، وفعل ذلك بنشاط وإخلاص مما أطلق لسان "**جايلز**" بالشكر والثناء، فقال "**متكالف**" :

– هذه رياضة مفيدة، والواقع، أنني أقوم بنوع من الرياضة كل يوم؛ لأحتفظ بلياقتي البدنية.

وهكذا عرف "**جايلز**" أن العقيد من هواة الرياضة، وأدرك سر إصراره على تناول فطوره في منتصف الساعة الثامنة صباحًا، وكأنما أدرك "**متكالف**" ما يدور بخلد "**جايلز**" فقال:

– كان كرمًا من زوجتك أن تطهو لي طعام الفطور في وقت مبكر، وأن تقدم لي كذلك بيضًا طازجًا.

*****

وكان "**جايلز**" نفسه قد استيقظ قبل الساعة السابعة لإنجاز أعمال الفندق، فتعاون مع "**مولي**" في إعداد الشاي والبيض وتنظيم الموائد.. وقاعة الاستقبال، ولم يتمالك وهو يفعل ذلك عن أن يفكر في أنه لو كان هو نفسه من نزلاء الفندق في يوم كذلك اليوم لبقي في فراشه أطول وقت ممكن. أما العقيد فإنه استيقظ مبكرًا، وتناول فطوره قبل أي إنسان آخر، ثم أخذ يتجول في الفندق كأنما ليجد متنفسًا لنشاطه.. وما إن رأى "**جايلز**" حاملاً المعول لإزالة الجليد المتراكم حتى تطوع لمساعدته.. وراح "**جايلز**" يلحظه بطرف عينه.. ويحاول تقييمه.. فوجده رجلاً صلب العود في

الحلقة الرابعة من عمره، جم النشاط يقظ النظرة، لا يكاد يفوته شيء مما يدور حوله.. وتساءل "**جايلز**" :

– ترى ماذا جاء بهذا الرجل إلى فندق "**مانكسويل**" ..؟

لعله سُرِّح من الجيش ولم يجد عملاً آخر.

*****

هبط السيد "**برافتشيني**" إلى قاعة الطعام متأخراً، وكان فطوره بسيطًا كمعظم الأوربيين.. قدحًا من القهوة وكسرة من الخبز الجاف. بيد أن "**مولي**" غالبها الإحساس بالضيق حين حملت إليه الطعام فوثب من مقعده، وأحنى قامته حتى كاد رأسه أن يمس ركبتيه وهتف باحترام شديد :

– أعتقد أنني في حضرة مضيفتي الكريمة.. هل أنا على صواب؟

ولم يكن لدى "**مولي**" استعداد أو وقت لمثل هذه المجاملات فقالت له بإيجاز إنه على صواب. وهرولت إلى المطبخ وشرعت تغسل أقداح الشاي، وهي تقول في ضيق:

– إن هذا لايطاق.. لماذا يتناولون فطورهم في أوقات مختلفة..؟

وما إن فرغت من الأقداح حتى أسرعت إلى الطابق الأول؛ لإعداد غرف النوم..

كانت تعلم أنها لا تستطيع انتظار مساعدة من "**جايلز**" ؛ لأنه كان مشغولاً بإزالة الجليد عن حظائر الدجاج. وأتمت تنظيف غرف النوم، وترتيب الأسرة بسرعة ومهارة.. وهمَّت بتنظيف الحمامات والمغاسل حين دقَّ جرس التليفون. وأغاظها في البداية أن يعطلها التليفون عن عملها، ولكنها ما لبثت أن أحست بارتياح إذ وجدت أن هناك ما يصلها بالعالم الخارجي وأن التليفون لا يزال يعمل، فهبطت الدرج مسرعة، ووصلت إلى قاعة المكتبة، وهي تلهث، ورفعت

السماعة وهتفت:

- آلو..

فأجابها صوت مرح ذو طابع ريفي واضح:

- هل هذا قصر "**مانكسويل**"..؟

- هذا فندق قصر "**مانكسويل**".

- هل أستطيع التحدث إلى الكابتن "**جايلز دافيز**"..؟

- يؤسفني أنه لا يستطيع التحدث بالتليفون الآن. أنا زوجته.. من المتحدث؟

- "**جوجين**".. مدير بوليس "**يوركشاير**"..

فذعرت "**مولي**" وردت بلسان متلعثم:

- آه! نعم، نعم!!

- ثمة أمر مهم يا سيدة "**دافيز**".. لا أستطيع أن أوضحه بالتليفون.. ولكني أرسلت إليكم المفتش "**تروتر**" وسيكون لديكم في أية لحظة.

- ولكنه لن يستطيع القدوم فنحن معزولون هنا، والطرق مكدسة بالجليد والمواصلات معطلة تماماً.

ولكن المتكلم لم يتردد، ولم يتريث ولو قليلاً ليفكر في الأمر، وقال بلهجة الواثق:

إن "**تروتر**" سيصل إليكم.. فأرجوكم أنت وزوجك أن تصغيا جيداً إلى ما سيقوله لكما.. وأن تطيعا تعليماته بلا تردد، هذا كل ما هنالك.

- ماذا..؟!

ولم تتم سؤالها؛ لأن الطرف الآخر أنهى الحديث، ووضع السماعة ،ويبدو أنه قال كل ما يمكن أن يقال. ووضعت "**مولي**" السماعة بدورها، ووقفت مذهولة لحظة، ثم استدارت لتخرج. وفتح الباب في هذه اللحظة فصاحت:

– آه! أهذا أنت يا "**جايلز**"؟

ووقف "**جايلز**" بالباب ووجهه ملطخ بتراب الفحم، وقطع البرد تغطي رأسه وكتفيه. قال:

– ماذا حدث أيتها العزيزة؟ لقد نقلت الفحم والخشب، وسأقوم الآن بإطعام الدجاج.. ولكن ماذا بك؟ وما هذا الفزع الذي يبدو عليك..؟

– لقد اتصل بنا البوليس يا "**جايلز**".

فهتف "**جايلز**" كمن لا يصدق أذنيه:

– البوليس..؟!

– نعم، قالوا إنهم أرسلوا إلينا مفتشًا..

– ولكن لماذا..؟! ماذا حدث..؟! ماذا فعلنا..؟!

– لا أعلم.. هل تظن أنهم سيسألوننا عن كمية الزبد التي استوردناها من "**أيرلندا**"..؟

فقطب "**جايلز**" حاجبيه وقال بعد تفكير قصير:

– هل حصلنا على رخصة لجهاز الراديو..؟

–نعم، إنها في درج مكتبك.. أصغ إليّ يا "**جايلز**" إنني حصلت من السيدة "**بيدلوك**" على خمسة كوبونات سكر مقابل ثوبين قديمين.. وهذا أمر مخالف للقانون، ولكن المبادلة كانت عادلة وقد تمت برضانا.. والسكر لاستهلاك الفندق، وليس للاتجار.. يا إلهي!! هل ارتكبنا مخالفات أخرى يا "**جايلز**"..؟

فقال "**جايلز**":

– منذ أسبوع كادت سيارتي تصطدم بسيارة أخرى، ولكن لم يحدث أي ضرر ولم تقع أية إصابة.. وكان الخطأ خطأ قائد السيارة الأخرى.

فتنهدت "**مولي**" وقالت:

– لا بد أننا فعلنا شيئًا مخالفًا للقانون.

فقال "**جايلز**":

– الكارثة أن كل ما يفعله الإنسان في هذه الأيام مخالف للقانون.. ولهذا يشعر الإنسان دائمًا بعقدة الذنب. على أنني أتوقع أن يكون لقدوم مفتش البوليس صلة بإدارة هذا الفندق، ومن المحتمل أن تكون لإدارة الفنادق متطلبات رسمية لا علم لنا بها..

– إنني أعتقد أن البوليس لا يهتم إلاّ بالميسر والشراب.. ونحن لم نقدم شرابًا لأحد، فماذا يمنعنا بعد ذلك من أن ندير فندقنا على النحو الذي نريده..؟

– لا مانع بالتأكيد.. ولكن كل شيء– كما قلت لك– يبدو ممنوعًا ومخالفًا للقانون في هذه الأيام.

– يا إلهي!! كم أتمنى لو أننا لم نبدأ هذه المغامرة. إن الجليد سيتساقط طوال عدة أيام قادمة.. وسوف يسخط النزلاء ويغضبون.. وقد لا تنتهي العاصفة قبل أن يأتوا على كل ما لدينا من طعام ومعلبات.

فقال "**جايلز**":

– هوني عليك أيتها العزيزة.. كل شيء يبدو الآن مضطربًا وباعثًا على الضيق والضجر.. ولكنها أزمة طارئة، وستمر حتمًا.

قال ذلك، وقبل جبينها.. ثم استطرد قائلاً، وهو شارد الذهن:

– هل تريدين رأيي يا "**مولي**"..؟ لابد أن يكون الأمر على جانب عظيم من الخطورة، وإلا ما أرسلوا إلينا أحد مفتشي البوليس في مثل هذا الجو العاصف.

وأشار إلى الجليد الذي يغطي الأرض في الخارج واستطرد قائلاً:

– نعم، لابد أن الأمر جد خطير.

وفتح الباب في هذه اللحظة، ودخلت السيدة "**بويل**". صاحت وعيناها

تتألقان :

– أنت هنا يا سيد "**دافيز**" ..؟ هل تعلم أن أنابيب التدفئة في قاعة الاستقبال باردة كالثلج..؟

– أنا آسف يا سيدة "**بويل**" .. فإننا نعاني نقص الفحم.. ولكن.. فقاطعته قائلة بحدة:

– أنا أدفع سبعة جنيهات في الأسبوع.. سبعة جنيهات.. ولا ينبغي أن أموت من البرد.

فصعد الدم إلى وجه "**جايلز**"، ولكنه قال بإيجاز:

– حسنًا.. سأرى ما يجب عمله..

وغادر الغرفة.. وتحولت السيدة "**بويل**" إلى "**مولي**" وقالت:

– معذرة يا سيدة "**دافيز**" .. ولكني أود أن أقول لك إنك تستضيفين هنا شابًا غريب الأطوار.. إن طباعه..ورباط عنقه.. ثم حدثيني.. ألا يفكر هذا الشاب يومًا في تصفيف شعره..!

فقالت "**مولي**" :

– إنه مهندس لامع..

– ماذا قلت..؟

– قلت إن "**كريستوفر رين**" مهندس لامع..

– يا سيدتي العزيزة.. أنا طبعًا سمعت عن السيد "**كريستوفر رين**" وأعلم أنه مهندس عظيم، وأنه هو الذي شيد كاتدرائية "**سانت بول**" .. أتظنون أيها الشباب أنكم تعلمون ما لا يعلمه سواكم..؟

– إنما أعني السيد "**رين**" الموجود معنا هنا.. إن اسمه "**كريستوفر**"وقد أطلق عليه أبوه هذا الاسم على أمل أن يصبح مهندسًا في أحد الأيام.. وهو مهندس فعلاً..

فقلبت السيدة "**بويل**" شفتيها وقالت:

- هل حاولت الاستعلام عنه..؟ ماذا تعرفين عنه..؟

- مثلما أعرف عنك يا سيدة "**بويل**".. فكلاكما يدفع سبعة جنيهات في الأسبوع.. وذلك كل ما يهمني معرفته..ولا يهمني إطلاقًا إذا كنت أحب عملائي أو لا أحبهم.. فذلك أمر ثانوي لا يقدم ولا يؤخر.. فاحتقن وجه السيدة "**بويل**" غضبًا، وقالت:

- إنك في مقتبل العمر وتنقصك الخبرة والتجارب. ومن واجبك أن ترحبي بنصائح من يفوقونك علمًا وتجربة.. ثم ذلك الأجنبي الغريب.. متى جاء إلى هذا الفندق؟ إنني لم أره أمس.

- إنه جاء في منتصف الليل.

- أمر يجذب النظر حقًّا.. وموعد غير مألوف إطلاقًا. فقالت "**مولي**" بلطف:

- إن رفض إيواء المسافرين ذوي النيات الطيبة يخالف القانون يا سيدة "**بويل**".. هذه حقيقة لعلك تجهلينها.. فرفعت السيدة "**بويل**" رأسها بكبرياء وقالت:

- كل ما أستطيع أن أقوله هو أن هذا السيد "**برافتشيني**".. يبدو في نظري..

وهنا قال صوت واضح النبرات، أجنبي اللهجة:

- حذار يا سيدتي العزيزة.. إذا تحدثت عن الشيطان فقد يظهر أمامك.

فأجفلت المرأتان ونظرتا حولهما.. وأبصرتا السيد "**برافتشيني**" واقفًا خلفهما.

*****

- 8 -

كان "**برافتشيني**"قد تسلل إلى الداخل دون أن تشعر به المرأتان . .وقد لذّ له أن يرى ذعرهما عندما سمعا صوته . . فأغرق في الضحك.

قالت السيدة "**بويل**" :

– إنك أرعبتنا، وأنا لم أسمع وقع خطواتك حين دخلت.

فأجاب الرجل وهو لا يزال يضحك:

– ذلك؛ لأنني أسير على أصابع قدمي؛ فلا يشعر بي أحد حين أدخل أو أخرج، وأنا أجد في ذلك شيئًا كثيرًا من التسلية، ويحدث أحيانًا أنني أسمع كلامًا. . وهذه تسلية أخرى. . ثم أضاف بصوت خافت:

– ولكني لا أنسى أبدًا ما أسمع.

فقالت السيدة "**بويل**" في قلق:

– أحقًّا. .؟ يجب أن آتي بحقيبتي. . فقد تركتها في قاعة الاستقبال.

وخرجت مسرعة، ونظرت "**مولي**" إلى "**برافتشيني**" وعلى وجهها دلائل الحيرة، فاقترب منها الرجل بسرعة وقال:

– إنني أرى دلائل القلق على وجه مضيفتي الفاتنة.

وتناول يدها قبل أن تتمكن من منعه ورفعها إلى شفتيه، وقبلها واستطرد قائلاً:

– ماذا بك يا سيدتي العزيزة.؟

فتراجعت "**مولي**" خطوة إلى الوراء.

كانت ترتاب في هذا الرجل، ولا تشعر نحوه بأية مودة.

قالت ببساطة:

– كل شيء يبدو اليوم صعبًا ومعقدًا. . ربما بسبب الجليد. فحول

"**برافتشيني**" رأسه لينظر إلى النافذة، وقال:

– نعم، إن الجليد يجعل كل شيء صعباً، أو يجعله ميسراً.

– لست أدري ماذا تعني..؟

فقال وهو مستغرق في التفكير:

– كلا، فهنالك أشياء كثيرة لا تدرينها، ومنها إدارة الفندق، فرفعت "**مولي**" رأسها متحدية وقالت:

– لا أزعم أننا نعرف الكثير عن إدارة الفنادق، ولكننا مصممون على النجاح.

– يسرني أن أسمع ذلك..

فقالت "**مولي**" بكثير من الثقة:

– وأكبر الظن أنني لست طاهية فاشلة.

– ليس ثمة شك في أنك طاهية فاتنة.

فقالت "**مولي**" لنفسها:

– ما أشد لجاجة هؤلاء الأوربيين! وما أسخف عبث مجاملاتهم!!

وربما كان الرجل قد أدرك ما يدور بخلدها؛ لأنه عبس فجأة، وقال بهدوء وبلهجة جادة:

– هل تسمحين لي بأن أقول لك كلمة تحذير يا سيدة "**دافيز**"..؟ يجب عليك أنت وزوجك ألا تسرفا في الثقة بالناس.. هل لديكما مثلاً معلومات صحيحة عن ضيوفكما؟

فقالت "**مولي**" بقلق:

– وهل ذلك ضروري؟ كنت أظن أن من واجبنا أن نستضيف كل من يرغب في ضيافتنا.

فانحنى الرجل إلى الأمام، وقال وهو يربت بيده كتفها:

– من الخير دائما أن تُلمّا ببعض المعلومات عن الأشخاص الذين يبيتون تحت سقفكما.. وسأضرب لك مثلاً بنفسي.. فإنني طرقت بابكما في منتصف الليل، وقلت إن سيارتي انقلبت وسط الجليد.. ولكن ماذا تعرفان عني..؟ لا شيء على الإطلاق. ومن المحتمل أيضًا أنكما لا تعرفان شيئًا عن سائر النزلاء.

فقالت "**مولي**":

– إن السيدة "**بويل**"..

ولم تتم عبارتها.. فقد رأت هذه السيدة مقبلة.

قالت السيدة "**بويل**":

– إن البرد شديد في قاعة الاستقبال.. ومن الأفضل أن أجلس هنا.. وسارت نحو المدفأة، ولكن "**برافتشيني**" تحرك بسرعة وسبقها إلى المدفأة وهو يقول:

– اسمحي لي أن أنظم لك جمرات النار في المدفأة.

ودهشت "**مولي**" – كما دهشت في الليلة الماضية– حين رأت خطواته الفتية النشطة التي لا تتواءم مع سنه، ولكنها لاحظت أنه يحرص دائمًا على أن يدير ظهره للضوء.. وخيل إليها الآن.. حين رأته جاثيًا أمام المدفأة ووهج النار ينعكس على وجهه، أنها عرفت السبب..

فقد كان الرجل يطلي وجهه بمهارة.. كما يفعل الممثلون.

لم يكن ثمة شك في أنه يحاول أن يبدو أصغر من سنه.. ولكنها محاولة فاشلة.. فإن وجهه ينم عن سنه.. بل يبدو أنه أكبر من سنه.. أما خطواته الفتية فمن المحقق أنه تدرب عليها.. ولكنها خطوات زائفة مثل وجهه. ودخل العقيد "**متكالف**" في هذه اللحظة، ونقلها دخوله من عالم الخيال إلى عالم الحقيقة. قال العقيد:

– يُخيل إليّ يا سيدة "**دافيز**" أن الماء في أنابيب..

وخفض صوته حياء واستطرد قائلاً:

– .. في أنابيب دورة المياه قد تجمد .

فتأوهت "**مولي**" وصاحت :

– يا له من يوم مزعج!! البوليس.. ثم تجمد الماء في الأنابيب.. يا إلهي!! ماذا سيحدث لنا بعد ذلك..؟ وهنا سقط من يد "**برافتشيني**" القضيب الحديدي الذي كان يحرك به نارالمدفأة. وكفت السيدة "**بويل**" عن التطريز.. ونظرت "**مولي**" إلى "**متكالف**"وراعها ما طرأ على سحنته من جمود.. وكأن كل إحساس قد غاض فجأة من وجهه.. كما لو كان هذا الوجه قد نحت من خشب.

قال "**متكالف**" بصوت متقطع :

– البوليس..؟ هل قلت البوليس؟

وأحست "**مولي**" بأن الجمود الذي يعلو قسمات وجهه إنما يخفي وراءه شعوراً بالغ العنف.. لعله الشعور بالخوف أو التحفز، أو الانفعال.. ولكن هناك شعوراً ما.. ولم تتمالك أن تقول لنفسها :

– هذا رجل خطر! ما في ذلك شك.

وقال العقيد مرة أخرى.. ولكن بصوت ينم عن الفضول :

– ماذا حدث من رجال البوليس..؟

فأجابت "**مولي**" :

– لقد اتصلوا بنا تليفونيًا في التو واللحظة. وقالوا إنهم سيرسلون إلينا أحد المفتشين..

ونظرت عبر النافذة واستطردت قائلة :

– ولكني لا أظن أنه سيتمكن من الحضور.

فقال وهو يتقدم نحوها :

– ولكن لماذا يرسلون أحد المفتشين إلى هذا الفندق..؟

وقبل أن تتمكن "**مولي**" من الإجابة، فتح الباب ودخل "**جايلز**" قائلاً في غضب:

- إن هذا الفحم اللعين أشد صلابة من الحجارة.

ثم نظر إلى مَنْ حوله وسأل:

- هل حدث شيء..؟!

فقال "**متكالف**":

- سمعت أن أحد مفتشي البوليس سيحضر إلى هنا- فلماذا؟

فهز "**جايلز**" كتفيه وأجاب:

- لا أحد يستطيع الحضور في مثل هذا الجو.. إن ارتفاع الجليد يربو على ست أقدام، والطرق كلها مغلقة.

وفي هذه اللحظة.. سمعوا ثلاث طرقات لم يعرفوا مصدرها في البداية.. وأخيراً أفلتت من فم "**مولي**" صيحة خافتة، وأشارت إلى النافذة.. فرأى القوم رجلاً ينقر بأصبعه على زجاج النافذة.. ولاحظوا أنه يستخدم أدوات الانزلاق على الجليد، ولذلك لم يدهشهم وصوله إلى الفندق على الرغم من العقبات التي تعترض الطريق.

*****

وجمد "**جايلز**" في مكانه لحظة، وقد ارتسمت على وجهه دلائل الدهشة. ولكنه سرعان ما تمالك نفسه.. واقترب من النافذة وراح يعالجها حتى فتحت.

قال القادم:

- شكراً لك يا سيدي..

كان له صوت مرح ووجه لوحته الشمس.

ثم قدم نفسه بقوله:

– المفتش "**تروتر**"... فحملقت السيدة "**بويل**" نحوه وقالت:

– إنك في مقتبل العمر، ولا يمكن أن تكون مفتش بوليس، فظهرت دلائل الاستياء على وجه "**تروتر**"، وكان في مقتبل العمر حقًّا، وقال:

– إنني لست من صغار السن كما أبدو يا سيدتي.

وطافت عيناه بالحاضرين، واستقرتا على "**جايلز**".

قال:

– هل أنت السيد "**دافيز**"؟هل أستطيع أن أخلع أدوات الانزلاق. وأضعها في مكان ما...؟

– بكل تأكيد.. تعال معي.

ودخل المفتش من النافذة،وتبع "**دافيز**" إلى الخارج.

وما إن أغُلق باب البهو خلفهما حتى قالت السيدة "**بويل**":

– يخيل إليّ أنه لا عمل لرجال البوليس في هذه الأيام غير الانزلاق على الجليد والاستمتاع برياضة الشتاء.

واقترب "**برافتشيني**" من "**مولي**"، وقال بسرعة، وبصوت خافت:

– لماذا أرسلت في طلب رجال البوليس يا سيدة "**دافيز**"؟ وكانت في عينيه نظرة خبيثة أزعجتها وروعتها، فتراجعت خطوة إلى الوراء وصاحت بلهجة العاجز:

– ولكني لم أرسل في طلبهم.. أؤكد لك أنني لم أرسل في طلبهم.

وفتح الباب ودخل "**كريستوفر رين**" وهو منفعل وسأل بصوت ثاقب:

– من هذا الرجل الذي بالبهو..؟ ومن أين جاء..؟ إنه شديد المرح وممتلئ نشاطًا وحيوية.

قالت السيدة "**بويل**":

– صدق أو لا تصدق.. إنه رجل بوليس من هواة الانزلاق.

وكان صوتها مليئًا بالاحتقار.. وكأن وجود شرطي ينزلق على الجليد هو القشة التي قصمت ظهر البعير.

وقال "**متكالف**" يحدث "**مولي**" :

– معذرة يا سيدة "**دافيز**" .. هل تسمحين لي باستخدام التليفون..؟

– بكل تأكيد يا عقيد "**متكالف**" .

وتناول "**متكالف**" سماعة التليفون بينما قال "**كريستوفر رين**" :

– إن هذا المفتش على جانب عظيم من الوسامة.. مثله في ذلك مثل الكثيرين من رجال الشرطة.

وصاح "**متكالف**" في ضجر:

– آلو.. آلو..

ثم التفت إلى "**مولي**" وقال:

– لقد صمت التليفون تمامًا يا سيدة "**دافيز**" ..

فقالت:

– ولكنه كان على ما يرام منذ لحظة.. إنني ..

ولم تتم عبارتها، فقد انفجر "**كريستوفر رين**" ضاحكًا ضحكة هستيرية مرتفعة وصاح:

– إذن نحن الآن في عزلة تامة.. حقًّا إنه لأمر يبعث على الضحك.

فقال "**متكالف**" بخشونة:

– إنني لا أرى ما يدعو إلى الضحك.

وقالت السيدة "**بويل**" :

– بالتأكيد.. ليس ثمة ما يدعو إلى الضحك..

ولكن "**كريستوفر رين**" لم يكف عن الضحك، واستمر يقهقه حتى اغرورقت عيناه بالدموع.

كان كمن أصيب بنوبة!

وأخيراً وضع أصبعه على شفتيه محذراً، وقال في همس:

– صه.. ها هو ذا الشرطي قادم.

- 9 -

عاد "**جايلز**" ومفتش البوليس، وكان الأخير قد تخلص من أدوات الانزلاق، وأزال قطع البَرَدَ (ثلج) التي علقت بثيابه وأمسك بيده دفتراً وقلمًا.. ولم يسع الآخرون حين أبصروه إلا الاعتراف بينهم وبين أنفسهم بأنه قد أشاع في جو المكان شيئًا من الجدية والرهبة.

قال "**جايلز**":

– "**مولي**"، إن المفتش "**تروتر**" يريد التحدث إلينا على انفراد.

فتبعتهما "**مولي**" إلى خارج الغرفة.

قال "**جايلز**":

– لنذهب إلى غرفة المكتب.

وقصدوا إلى الغرفة الصغيرة التي أطلقوا عليها هذا الاسم، وهناك أغلق المفتش "**تروتر**" الباب في هدوء وتحول إليهما، فقالت "**مولي**" في جزع:

– ماذا فعلنا أيها المفتش..؟ ما المخالفة أو الجريمة التي تنسبونها إلينا..؟

فحملق "**تروتر**" إلى وجهها، ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة عريضة، وقال:

– لا شيء إطلاقًا يا سيدتي، وأنا آسف إذا كان قد حدث شيء من سوء الفهم.. كلا يا سيدة "**دافيز**".. إن الأمر يختلف تمامًا عمًّا تظنين.. إنه مجرد نوع من الحماية البوليسية.. هل فهمتني..؟

ولكنها لم تفهم شيئًا، وكذلك "**جايلز**" . .

فقال المفتش رداً على الأسئلة التي لم ينطقا بها :

– إن الموضوع يتعلق بحادث مصرع السيدة "**ليون**" . . السيدة "**مورين ليون**" التي قتلت في "**لندن**" منذ يومين! لا شك في أنكما قرأتما عن هذه الجريمة في الصحف .

فقالت "**مولي**" :

– نعم .

– أول شيء أريد معرفته الآن هو هل كانت لكما أية صلة بالسيدة "**ليون**" . .؟

فقال "**جايلز**" و"**مولي**" في وقت واحد :

– كلا!

– ذلك ما توقعناه، ولكن يجب أن تعلما أن "**ليون**" ليس الاسم الحقيقي للمرأة القتيل . . إن لهذه المرأة سجلا في إدارة الشرطة . . وبصماتها موجودة بهذا السجل . وهكذا أمكن معرفة شخصيتها بسهولة .

إن اسمها الحقيقي هو "**جريج**" . . "**مورين جريج**"، وزوجها "**جون جريج**" كان مزارعًا في "**لونجريدج**" . . وهي مزرعة قريبة من هنا . ألم تسمعا قط عن قضية مزرعة "**لونجريدج**" . .؟

*****

وساد الغرفة صمت عميق . . لم يقطعه سوى انفصال قطعة من الجليد وتدحرجها على سطح الفندق . . ثم سقوطها على الأرض .

ومضى "**تروتر**" في حديثه، فقال :

– حدث إبان الحرب، عندما توالت غارات الطائرات الألمانية على "**لندن**" في

سنة 1940 أن قررت الحكومة «البريطانية» تهجير الأطفال من "**لندن**" إلى المقاطعات البعيدة لتجنبهم ويلات الحرب.. وكان من بين الأطفال المهجرين ثلاثة أشقاء.. طفلان وطفلة.. عُهد بهم إلى السيد "**جريج**" بمزرعة "**لونجريدج**".

ولكن أحد هؤلاء الأطفال ما لبث أن توفي بسبب سوء المعاملة والإهمال الإجرامي. وأثارت قضية هذا الطفل ضجة كبيرة.. وحوكم "**جريج**" وزوجته وحكم عليهما بالسجن.. وتمكن "**جريج**" من الفرار في أثناء نقله إلى السجن، وسرق سيارة وانطلق بها في محاولة يائسة للإفلات من البوليس، ولكنه اصطدم بإحدى سيارات النقل وقتل لساعته. أما زوجته فإنها قضت المدة التي حكم بها عليها، وأطلق سراحها منذ شهرين.

فقال "**جايلز**":

– وها هي ذي قتلت.. ولكن من تظنون أنه القاتل..؟ فلم يجب "**تروتر**" ومضى في حديثه قائلاً:

– هل تذكر هذه القضية يا سيدي..؟

فهز "**جايلز**" رأسه سلبًا وأجاب:

– في سنة 1940 كنت مع الأسطول في البحر الأبيض المتوسط. فنظر "**تروتر**" إلى "**مولي**" وقال:

– وأنت يا سيدتي..؟

فأجابت وهي لاهثة الأنفاس:

– أنا.. أنا.. أذكر أني سمعت عن هذه القضية.. لكن ما صلتنا نحن بها..؟

– المسألة أنكما في خطر يا سيدة "**دافيز**".

فصاح "**جايلز**" بلهجة من لا يصدق ما سمع:

– نحن في خطر..؟!

– إليك ملخص الموضوع يا سيدي.. لقد وجد دفتر صغير بالقرب من مكان الجريمة، وكان المسجل بهذا الدفتر عنوانين.. أحدهما عنوان المنزل رقم 74 بشارع "**كالفر**".

فقالت "**مولي**":

– المنزل الذي قتلت فيه تلك المرأة..؟

– نعم يا سيدة "**دافيز**"، أما العنوان الثاني فهو اسم قصر "**مانكسويل**".

فصاحت "**مولي**":

– ماذا..؟! عنوان هذا القصر..؟!

– نعم، ولهذا وجد مدير الشرطة أنه من الضروري الاستفسار منكما عما إذا كانت لكما أو لهذا القصر أية علاقة بقضية مزرعة "**لونجريدج**".

فقال "**جايلز**":

– لا توجد أية علاقة على الإطلاق..ربما كُتب عنوان هذا القصر بالدفتر مصادفة.

فقال "**تروتر**" بهدوء:

– إن مدير الشرطة لا يعتقد أن الأمر مجرد مصادفة، وكان يود الحضور بنفسه لولا أنه وجد ذلك مستحيلاً بسبب سوء الأحوال الجوية.. ولما كنت من هواة الانزلاق فقد أرسلني بدلاً منه، وزودني بتعليمات مشددة للحصول على معلومات كاملة عن كل شخص في هذا الفندق، وطلب إليّ أن أتصل به تليفونيًا، وأن أتخذ من الإجراءات ما أراه ضروريًا للمحافظة على سلامة النزلاء.

فهتف "**جايلز**" بحدة:

– سلامة النزلاء!! ماذا تعني يا رجل..؟ هل تظن أن أحداً سيُقتل

هنا . . ؟

فقالِ "**تروتر**" معتذراً:

– لا أريد أن أزعج هذه السيدة، ولكن الجواب هو (نعم) . .إن مدير البوليس يظن ذلك.

– ولكن ماذا يمكن أن يكون الدافع إلى . . ؟

ولم يتم "**جايلز**" عبارته، فقد قاطعه "**تروتر**" بقوله:

– ذلك ما جئت لكشفه.

– كل هذا ضرب من الجنون.

– نعم يا سيدي . . . وهذا الجنون هو مبعث الخطورة.

فقالت "**مولي**" :

– هل لديك شيء آخر تريد أن تقوله يا سيدي المفتش؟

– نعم يا سيدتي، فقد وجدت بإحدى صفحات الدفتر هذه الكلمات: (ثلاثة جرذان عمياء) . . ووجدت فوق جثة المرأة ورقة كتب عليها: (هذه هي الأولى) . . وتحتها رسم ثلاثة جرذان . . وعلامات موسيقية لمطلع أغنية (ثلاثة جرذان عمياء) . . التي يغنونها للأطفال.

وهنا راحت "**مولي**" تترنم بالأغنية بصوت خافت:

« ثلاثة جرذان عمياء.

انظر كيف تعدو.

إنها تعدو وراء زوجة المزارع.

وهي . . »

وكفت فجأة وهمست قائلة:

– هذا مخيف! مخيف! قلت إنه كان هناك ثلاثة أطفال أشقاء . . ؟!

– نعم يا سيدة "**دافيز**" . . طفل في الخامسة عشرة من عمره، وطفلة في

الرابعة عشرة.. وطفل في الثانية عشرة.. وهذا الأخير هو الذي مات.

- وماذا حدث للطفلين الآخرين..؟!

- أعتقد أن إحدى العائلات تبنت الفتاة.. ولكننا لم نستطع العثور على أثر لها.. أما الصبي فيجب أن يكون الآن في الثالثة والعشرين من عمره.. وقد فقدنا أثره.. ويقال إنه كان مصاباً بخبل.. وقد التحق بالجيش وهو في الثامنة عشرة من عمره ثم فر من الجيش واختفى ويؤكد طبيب الجيش أنه كان مريضاً عقليًّا.

فسأل "**جايلز**":

- هل تظنون أنه هو الذي قتل السيدة "**ليون**".. وأنه مجرم معتوه، وربما يأتي إلى هنا لغرض نجهله..؟

- بل نظن أن هناك صلة ما بين أحد الأشخاص هنا وحادث مزرعة "**لونجريدج**".. ومتى استطعنا تحديد الصلة.. أصبح من السهل اتقاء الخطر المنتظر. أنت تقول يا سيدي إنه لم تكن لك صلة بحادث المزرعة.. فهل ذلك ما تقولينه أنت أيضاً يا سيدة "**دافيز**"..؟

- آه! نعم، نعم!

- هل في استطاعتكما أن تذكرا لي بالتحديد أسماء جميع نزلاء الفندق..؟

فذكر له الأسماء: السيدة "**بويل**"، والعقيد "**متكالف**" والسيد "**كريستوفر رين**" والسيد "**برافتشيني**".. وسجَّل "**تروتر**" هذه الأسماء في دفتره.

ثم سأل:

- والخدم..؟

فأجابت "**مولي**":

– ليس لدينا خدم.. وبهذه المناسبة.. يجب أن أسرع إلى المطبخ؛ لأطهو البطاطس.

وانطلقت مسرعة، وتحول "**تروتر**" إلى "**جايلز**" وسأله:

– ماذا تعرف عن هؤلاء الناس يا سيدي..؟

– أنا .. نحن..

وصمت قليلاً، ثم قال في هدوء:

– الواقع أننا لا نعرف عنهم شيئًا يا سيد "**تروتر**".. فقد كتبت إلينا السيدة "**بويل**" من أحد فنادق "**بورثمارت**". وكتب العقيد.. "**متكالف**" من "**ليمنجتون**" وكتب "**كريستوفر رين**" من أحد بنسيونات "**كنسنجتون**". أما السيد "**برافتشيني**" فإنه هبط علينا من السماء.. لقد انقلبت سيارته في الطريق على مقربة من هنا فلجأ إلينا.

ولكني أعتقد أن مع كل منهم بطاقته الشخصية، وبطاقة التموين، وغير ذلك من الأوراق..

– سأبحث أوراقهم ووثائقهم بطبيعة الحال.

فقال "**جايلز**":

– لعله من حسن الحظ أن الأحوال الجوية ساءت إلى هذا الحد، فإن القاتل لن يستطيع الوصول إلينا. أليس كذلك؟

– لعله ليس بحاجة إلى ذلك يا سيد "**دافيز**"..

– ماذا تعني..؟

فتردد "**تروتر**" لحظة ثم قال:

– يجب أن تتذكر يا سيدي أنه ربما كان موجودًا هنا فعلاً.. فنظر إليه "**جايلز**" في دهشة وقال:

– ماذا تعني..؟

– لقد قُتلت السيدة "**جريج**" منذ يومين.. وجاء ضيوفك جميعًا خلال هذين اليومين.

– هذا صحيح، ولكنهم حجزوا غرفهم قبل ذلك بوقت طويل.. فيما عدا السيد "**برافتشيني**"..

فتنهد "**تروتر**" وقال بصوت متعب:

– هذه الجرائم قد وضعت خطتها سلفا.

– الجرائم..؟ لم ترتكب سوى جريمة واحدة. فما سبب توقعك لجريمة أخرى..؟

– أنا لا أتوقع حدوث جريمة أخرى؛ لأنني سأحاول منعها، ولكني أتوقع محاولات لارتكاب جريمة أو أكثر.

– إذا صح ما ذكرته عن القاتل.. فإنك لن تجد هنا من هو في مثل سنّه سوى "**كريستوفر رين**".

- 10 -

لحق المفتش "**تروتر**" بـ"**مولي**" في المطبخ وقال لها:

– هل لك في مرافقتي إلى قاعة المكتبة يا سيدة "**دافيز**"..؟ إنني سألقي بيانًا على جميع من بالفندق. وقد تفضل السيد "**دافيز**" وذهب للتمهيد لهم.

– حسنًا.. فقط دعني أتم طهو هذه البطاطس أولاً.. إنني أتمنى في بعض الأحيان لو أن السيد "**وولتر رالي**"، لم يحضر معه هذه البطاطس اللعينة من "**أمريكا**".

فلزم "**تروتر**" الصمت، وقالت "**مولي**":

– إنني لا أكاد أصدق القصة الخيالية التي رويتها لنا يا سيد "**تروتر**".. فهي

من الغرابة بحيث.. ولكنه قاطعها بقوله:

– إنها ليست قصة خيالية يا سيدة "**دافيز**".. إنها حقائق بحتة .فسألته في فضول:

– هل تعرف أوصاف القاتل..؟

– إنه متوسط القامة، يرتدي معطفًا أسود وقبعة خفيفة وصوته أشبه بالهمس، وكان يخفي جزءاً من وجهه بشملة من الصوف.

– إنها أوصاف تنطبق على الكثيرين..

وصمت لحظة ثم قال:

– لقد رأيت في بهو هذا الفندق ثلاثة معاطف سوداء وثلاث قبعات خفيفة.

– لا أظن أن أحداً من نزلاء الفندق قد جاء من "**لندن**".

– أحقًّا..؟!

وأسرع إلى إحدى الموائد، وتناول جريدة كانت فوقها وقال:

– هذه صحيفة "**الإيفننج ستاندارد**" التي تصدر في "**لندن**" وتاريخها 19 شباط (فبراير).. أي أنها صدرت منذ يومين. .فلا بد أن يكون أحدهم قد أحضرها معه من "**لندن**".. أليس كذلك..؟

فبهتت "**مولي**" وهتفت:

– هذا عجيب!! من أين جاءت هذه الصحيفة..؟

– يجب ألاّ تغرك الظواهر يا سيدة "**دافيز**". إنك.. إنك لا تعرفين شيئًا عن هؤلاء الناس الذين يعيشون معك تحت سقف واحد.. فهل أفهم من ذلك أنك والسيد "**دافيز**" حديثا عهد بإدارة الفنادق..؟

– نعم، هو ذلك..

وأحسَّت فجأة بأنها جاهلة، وساذجة وحمقاء. قال:

– ويُخيَّل إليّ كذلك أنكما تزوجتما منذ وقت قصير. فأجابت وقد احمر وجهها حياء:

– تزوجنا منذ عام، وكان زواجنا فجائيًا.

فقال وهو يبتسم بلطف:

– هل كان حبًا من أول نظرة..؟

– نعم، تزوجنا ولم يمض على تعارفنا أسبوعان.

*****

وتذكرت الأربعة عشر يومًا الخالدة التي سبقت زواجها. لقد شعرت، حين رأت "**جايلز**" لأول مرة، بمثل ما يشعر به التائه في الصحراء حين يرى واحة ظليلة. ورسمت ذكريات تلك الأيام على شفتيها ابتسامة سعيدة.. وعندما عادت إلى الحاضر، لاحظت أن "**تروتر**" ينظر إليها بعطف.

قال:

– إن زوجك ليس من أهل هذه الناحية.. أليس كذلك..؟

– بلى، إنه من "**لنكولنشاير**".

لم تكن تعرف الكثير عن طفولة "**جايلز**" ونشأته؛ لأنه كان يتجنب الحديث عن هذه الفترة من حياته.. ولعل ذكرياته عنها كانت تمضه وتؤلمه.

فقال "**تروتر**":

– إنكما في مقتبل العمر، وأعتقد أنكما ما زلتما تفتقران إلى الخبرة والتجربة لإدارة فندق كهذا.

– لا أعلم، إنني في الثانية والعشرين من عمري..

ولم تتم عبارتها فقد فتح الباب ودخل "**جايلز**".

وقال:

– لقد أعددت العدة للاجتماع يا سيدي المفتش، وأفضيت إلى النزلاء بفكرة عن الموضوع.

فقال "**تروتر**":

– هذا يوفر علينا بعض الوقت هل أنت على استعداد يا سيدة "**دافيز**"..؟

كانت هناك أربعة أصوات تتحدث كلها في وقت واحد عندما دخل المفتش "**تروتر**" قاعة المكتبة. وكان أكثر الأصوات ارتفاعًا وانفعالاً هو صوت "**كريستوفر رين**" الذي أعلن أن الموقف أصبح مثيراً للغاية. وأنه لن يغمض له جفن في تلك الليلة.. وأنه يتحرق شوقًا إلى معرفة المزيد من التفصيلات.

وفي الوقت نفسه كانت السيدة "**بويل**" تقول باستياء:

– لم أكن أتصور أن بوليسنا من العجز بحيث يدع القتلة والمجرمين يتجولون في طول البلاد وعرضها بملء الحرية على هذا النحو.. أما السيد "**برافتشيني**" فإن حركات يديه كانت أفصح من لسانه.. كان يحاول أن يقول بيديه، ما عجز عنه صوته الذي غرق في خضم من هدير السيدة "**بويل**". ذلك بينما راح العقيد "**متكالف**" يعبر عن وجهة نظره بكلمات قليلة وعبارات مقتضبة.. كان كل ما يريده هو معرفة المزيد من الحقائق.

*****

وانتظر "**تروتر**" دقيقة أو دقيقتين ثم رفع يده بحزم، ومن عجب أن الجميع كفُّوا عن الكلام وساد صمت مطبق. قال:

– شكرًا لكم.. أعتقد أن السيد "**دافيز**" قد ذكر لكم بإيجاز الأسباب التي دعتني إلى القدوم إلى هذا الفندق. إنني أريد أن أعرف شيئًا واحدًا.. شيئًا واحدًا فقط.. وأن أعرفه بسرعة:

مَنْ منكم كانت له صلة بقضية مزرعة "**لونجريدج**"..؟

فخيمً السكون، وساد الصمت.. وتحولت أربعة وجوه جامدة إلى المفتش "**تروتر**" ... وتوارى كل أثر للانفعال والتوتر والهستيريا.. انمحى كله كما تنمحي فقاعات الهواء من صفحة الماء.. وتكلم المفتش "**تروتر**" مرة أخرى بمزيد من الإلحاح والتأكيد..

قال:

– أرجوكم أن تفهموني جيداً.. إن لدينا من الأسباب ما يحملنا على الاعتقاد بأن أحدكم مُعرض لخطر مميت.. ويجب أن أعرف من منكم ذلك الواحد.

فلم يتكلم أو يتحرك أحد. قال "**تروتر**" وفي صوته رنة غضب:

– حسنًا.. سأسألكم واحداً بعد الآخر.. السيد "**برافتشيني**".. فارتسمت ابتسامة باهتة على شفتي "**برافتشيني**"، ورفع يده محتجاً.. وقال:

– إنني غريب عن هذه المنطقة أيها المفتش، ولا أعرف شيئًا عن الأحداث المحلية التي وقعت فيها منذ سنوات.

ولم يضع "**تروتر**" وقته وقال بإيجاز:

– السيدة "**بويل**"..؟

فأجابت هذه السيدة:

– الواقع أنني لا أعلم لماذا ينبغي أن تكون لي أية صلة بذلك الحادث المحزن؟

– السيد "**رين**"..؟

فقال "**كريستوفر**" بصوت ثاقب:

– إنني كنت طفلاً عندما وقع حادث المزرعة.. فأنا لا أتذكر عنه شيئًا، بل لم أسمع به.

– العقيد "**متكالف**"..؟

فقال العقيد بإيجاز:

- لقد قرأت عن الحادث في الصحف وكنت وقتئذ مع فرقتي في "**أدنبره**".

فقال "**تروتر**" وهو ينقل بصره بين النزلاء:

- هل هذا هو كل ما عندكم..؟

فساد الصمت مرة أخرى، وتنهد "**تروتر**" في ضيق ونفاد صبر، وقال:

- إذا قتل أحدكم فلا تلومون إلاً أنفسكم.

ودار على عقبيه وغادر الغرفة فقال "**كريستوفر**":

- أيها السادة.. إنها لمأساة حقًا! ولكن أرأيتم كم هو وسيم هذا المفتش..؟ إنني شديد الإعجاب برجال البوليس.. كل تصرفاتهم تدل على الحزم والصلابة والثقة بالنفس.. ولكن الموقف بالإجمال مثير إلى أقصى حد (ثلاثة جرذان عمياء).. ما نغمة هذه الأغنية؟

وراح يصفر الأغنية بصوت خافت، فصاحت "**مولي**" بطريقة لا إرادية:

- صه.

فدار "**كريستوفر**" على عقبيه وحملق إلى وجهها وقال وهو يضحك:

- لماذا الانزعاج أيتها العزيزة..؟ هذه الأغنية هي علامتي المميزة.. إنني لم أتهم في جريمة قتل قبل الآن، وإذا اتهمت فسأجد في ذلك متعة عظيمة.

فقالت السيدة "**بويل**":

- كل هذا هراء.. إنني لا أصدق كلمة واحدة مما قاله المفتش. فقال "**كريستوفر**" وفي عينيه بريق خبيث:

- صبراً يا سيدة "**بويل**" حتى أتسلل وراءك وأحيط عنقك بيدي..

فأجفلت "**مولي**"، وقال "**جايلز**" في غضب:

- إنك تزعج زوجتي يا سيد "**رين**".. فضلاً عن أن دعاباتك تنم عن فساد الذوق.

وقال "**متكالف**":

– ليس هذا وقت الدعابة.

فقال "**كريستوفر**" :

– ولِمَ لا..؟ إن الأمر كله دعابة.. ودعابة رجل مجنون.. وهذا سر طرافتها.

ثم أجال البصر فيما بينهم وضحك مرة أخرى، وقال:

– كم أود أن تنظروا إلى وجوهكم!!

وغادر الغرفة مسرعًا..

وكانت السيدة "**بويل**" أول من استرد أنفاسه.

قالت:

– يا له من شاب مخبول فاسد الذوق..!!

فقال "**متكالف**" :

– لقد روى لي أنه دفن تحت الأنقاض في إحدى الغارات الجوية وظلَّ تحتها طوال ثمان وأربعين ساعة. وأعتقد أن ذلك يفسر سلوكه بما فيه الكفاية.

فقالت السيدة "**بويل**" ببرود:

– ما أكثر الأعذار التي يلتمسها الناس ويبررون بها تلف أعصابهم! إنني عانيت الكثير من الحرب أكثر مما عانى أي إنسان آخر.. ومع ذلك فإن أعصابي لم يتطرق إليها ضعف أو وهن.

فقال "**متكالف**" :

– ذلك من حسن حظك يا سيدة "**بويل**" .

– أعتقد يا سيدة "**بويل**" أنك كنت الشخص المسؤول عن تهجير الأطفال إلى هذه المنطقة في سنة 1940 .. أليس كذلك؟

ونظر إلى "**مولي**" ، فاومأت برأسها علامة الموافقة.

واحمرّ وجه السيدة "**بويل**" غضبًا وصاحت:

– وماذا في ذلك..؟

فقال "**متكالف**" وهو يحدق إلى وجهها:

– أنت المسؤولة عن إرسال أولئك الأطفال الثلاثة إلى مزرعة "**لونجريدج**".

– ومن ذا الذي يحمِّلني مسؤولية ما حدث يا عقيد "**متكالف**"..؟ لقد كان صاحب المزرعة وزوجته شخصين لطيفين.. أو هكذا خيل لي.. وكانا يتوقان إلى استضافة الأطفال، فلا لوم عليَّ بحال.. ولا أحسبني مسؤولة عما حدث للأطفال بعد ذلك.

فصاح "**جايلز**" بحدة:

– لماذا لم تقولي ذلك للمفتش "**تروتر**"..؟

فقالت السيدة "**بويل**" بحدة:

– لا شأن للبوليس في هذا الموضوع.. ثم إنني أستطيع السهر على نفسي.

فقال "**متكالف**" بهدوء:

– يحسن بك أن تحرصي على سلامتك.

وغادر الغرفة بدوره.

وهمست "**مولي**" قائلة:

– هذا صحيح، إنك كنت المسؤولة عن تهجير الأطفال في هذه المنطقة. إنني أذكر ذلك جيداً.

فنظر إليها "**جايلز**" في دهشة وقال:

– هل كنت تعلمين ذلك يا "**مولي**"؟

فقالت "**مولي**" تُحدث السيدة **بويل**":

– وكنت تقيمين في ذلك البيت الابيض الكبير.. أليس كذلك..؟

فقالت السيدة "**بويل**" بمرارة:

– لقد استولى الجيش على هذا البيت وخربه تخريباً..

وهنا ضحك "**برافتشيني**" .. ضحك في هدوء أولاً.. ثم أغرق في الضحك..

قال بأنفاس متقطعة:

– معذرة، فإنني أرى كل هذا مدعاة للضحك.

وعاد المفتش "**تروتر**" في هذه اللحظة ونظر إلى "**برافتشيني**" مستنكرًا وقال ببرود:

– يسرني أن يجد الجميع فيما نحن بصدده ما يدعوهم إلى الضحك.

فقال "**برافتشيني**" معتذراً:

– أنا آسف يا سيدي المفتش.. آسف بصفة خاصة؛ لأنني أفسدت الأثر الرهيب الذي تركه تحذيرك في النفوس.

فهزَّ "**تروتر**" كتفيه وقال:

– لقد بذلت قصارى جهدي لتوضيح الموقف.

ثم التفت إلى "**مولي**" وقال:

– هل أستطيع استخدام التليفون يا سيدة "**دافيز**"..؟

فقال "**برافتشيني**":

– إنني أكرر اعتذاري، وسأنسحب بهدوء. ولم ينسحب بهدوء وإنما اجتاز الغرفة بتلك الخطى الفتية المتوثبة التي لاحظتها "**مولي**" من قبل.

قال "**جايلز**":

– يا له من عجوز غريب الأطوار!

فقال "**تروتر**":

– إنني أرى في وجهه وسلوكه طابع الإجرام، ولا يمكن أن أثق به قيد شعرة.

فهتفت "**مولي**":

– هل تظن أنه.. ولكن لا. إنه متقدم في السن جداً.. أم لعله ليس متقدمًا في السن..؟ إنه يستعمل الدهون والأصباغ بكميات وفيرة لكي يبدو شابًا، ثم إنه يمشي مشية فتية؛ لعله قد تنكر لكي يبدو عجوزاً بينما هو.. ما رأيك أيها المفتش..؟

فقاطعها "**تروتر**" قائلاً بحدة:

– إن هذه الافتراضات والتخمينات لن توصلنا إلى نتيجة يا سيدة "**دافيز**".. يجب أن أتصل بالكابتن. ومشى إلى حيث كانت آلة التليفون، فقالت "**مولي**":

– لن تستطيع الاتصال به، فالتليفون معطل.

فصاح "**تروتر**" وهو يدور على عقبيه:

– ماذا..؟

وأثرت صيحته في كل من سمعها..

قال على الفور:

– متى تعطل..؟

– لقد حاول العقيد "**متكالف**" استخدامه قبيل حضورك.

– ولكن كان يعمل قبل ذلك.. ألم يتصل بك الكابتن "**جوجين**"؟

– بلى.. وكان ذلك حوالي الساعة العاشرة.. ولكن يبدو أن سقوط الجليد قطع الأسلاك. فظهرت دلائل الاهتمام على وجه "**تروتر**" وقال:

– من يدري؟ لعل الأسلاك قطعت عمداً.

– هل تظن ذلك..؟

– يجب أن نستوثق..

وغادر الغرفة مسرعًا، وتردد "**جايلز**" لحظة ثم لحق به.. وهتفت "**مولي**":

– يا إلهي !! لقد حان وقت الغداء.. يجب أن أسرع وإلاَّ فلن نجد ما

نأكله .

وهرولت إلى الخارج . . بينما قلبت السيدة "**بويل**" شفتيها وهمست قائلة :

– يا له من فندق !! من ذا الذي يدفع سبعة جنيهات للإقامة في مكان كهذا . ؟

- 11 -

انحنى المفتش "**تروتر**" وراح يتعقب الأسلاك التليفونية، وسأل "**جايلز**" :

– هل لديكم وصلة داخلية . . ؟

– نعم . . في غرفة نومنا بالطابق الأول . . هل أذهب لأفحصها . . ؟

– أرجو أن تفعل .

وفتح "**تروتر**" النافذة، وأطل منها، بعد أن أزال ما علق بها من قطع الجليد . . بينما أسرع "**جايلز**" إلى الطابق الأول .

وفي هذه الأثناء كان "**برافتشيني**" يسير في قاعة الاستقبال جيئة وذهابًا . . ثم ما لبث أن وقف أمام البيان، وفتحه، وجلس على مقعد أمامه، وراح يدق بأصبع واحدة أغنية :

« ثلاثة جرذان عمياء . .

انظر إليها كيف تجري ؟ »

*****

وكان "**كريستوفر رين**" يتجول في غرفة نومه بنشاط ويصفر . . ثم فجأة، صمت الصفير . . وجلس "**كريستوفر**" على حافة فراشه ودفن وجهه بين

كفيه.. وراح يبكي ويردد كالأطفال:

– كلا، لن أستطيع الاستمرار..

ثم تبدلت حاله بغتة ونهض واقفًا، وبسط كتفيه، وقال:

– يجب أن أستمر.. يجب أن أستمر إلى النهاية.

*****

وقف "**جايلز**" بجوار آلة التليفون في غرفة نومه.. ثم انحنى إلى الأمام وراح يتعقب الأسلاك.

وفجأة رأى قفاز "**مولي**" ملقى على الأض فالتقطه.

ولم يكد يفعل ذلك حتى سقطت من القفاز تذكرة أوتوبيس حمراء..

ونظر "**جايلز**" إلى التذكرة وهي تتطاير في الهواء ثم وهي تسقط على الأرض واكفهر وجهه. وانقلبت سحنته.. وبدا وكأنه رجل آخر غير الرجل..

مشى إلى الباب ببطء كمن يمشي في حلم، وفتحه، ووقف لحظة ينظر إلى الدهليز المؤدي إلى الدرج.

*****

وفرغت "**مولي**" من تقشير البطاطس، ووضعتها في إناء، ووضعت الإناء فوق النار.

ثم ألقت نظرة على ما في داخل الفرن، وظهرت على وجهها دلائل الارتياح..

كان كل شيء يسير بانتظام وفقًا للتوقيت..

وحانت منها التفاتة إلى مائدة المطبخ ووقع بصرها على جريدة "**الإيفننج ستاندارد**" التي يرجع تاريخها إلى يومين سابقين.

وقطبت ما بين حاجبيها..

ليتها فقط تستطيع أن تتذكر من أتى بهذه الجريدة. وفجأة؟ ارتفعت يدها إلى جبينها وهتفت:

- كلا، كلا. لا يمكن أن يكون ذلك. ونظرت حولها في المطبخ وكأنها تراه لأول مرة وراحت تردد:

- كلا، لا يمكن أن يكون ذلك.

وسارت نحو الباب ببطء كمن يسير وهو نائم، وفتحته، وأصاخت السمع، فطرق أذنها صوت صفير يردد نغم تلك الأغنية الرهيبة..

مرت بجسدها رعدة شديدة. وعادت أدراجها إلى المطبخ، وأجالت بصرها في أرجائه مرة أخرى.. ثم قفلت عائدة إلى الباب.

*****

وأخذ العقيد "**متكالف**" يهبط الدرج الخلفي في هدوء، حتى إذا وصل إلى البهو.. تريث دقيقة أو دقيقتين.. ثم فتح الدولاب الكبير القائم تحت الدرج، وأطلّ بداخله.

كان الهواء شاملاً.. ولا أثر هناك لأي إنسان.. وكانت الظروف ملائمة لتنفيذ ما عول على تنفيذه.

*****

وجلست السيدة "**بويل**" في قاعة المكتبة وأدارت زر جهاز الراديو بحركة تنم عن السأم وضيق الصدر.

كانت قد فتحت الجهاز على منتصف حديث عن مغزى أغنيات الأطفال، وذلك آخر ما كانت تود الإنصات إليه. فأخذت تبحث عن محطة أخرى.

وسمعت صوتًا مهذبًا صادراً من الجهاز يقول:

– يجب أن نفهم سيكولوجية الخوف على حقيقتها لنفرض مثلاً أن المستمع كان جالسًا بمفرده في إحدى الغرف.. ثم فتح باب خلفه في هدوء.. وعند هذا الحد من الحديث، فتح باب غرفة المكتبة فاستدارت السيدة "**بويل**" بعنف ونظرت وراءها.. ثم تنهدت بارتياح وهتفت قائلة:

– آه! أهذا أنت..؟ ما هذه البرامج السخيفة التي يذيعونها في الراديو!! إنني لا أجد شيئًا يستحق الإصغاء إليه..

– لو كنت مكانك لما تكلفت عناء الإصغاء يا سيدة "**بويل**".

فقالت:

– وماذا أفعل غير ذلك وأنا حبيسة في مكان قد يتسلل إليه القاتل في أية لحظة..؟ أنا لا أقول ذلك؛ لأنني صدقت تلك القصة السخيفة التي..

– ألم تصدقيها حقًا يا سيدة "**بويل**"..؟

– ماذا تعني..؟ لماذا..؟

والتف حزام المعطف حول عنقها بسرعة قبل أن تدرك مغزى ما يحدث لها..

وامتدت يد إلى زر الراديو فارتفع صوت المتحدث عن سيكولوجية الخوف لكي يطغى على كل صوت أو جلبة تصدر من السيدة "**بويل**".

ولكن لم تكن هناك أية جلبة.. فقد كان القاتل يعرف عمله جيداً.

- 12 -

وقفوا جميعًا في المطبخ ودلائل الفزع تعلو وجوههم، بينما كانت رائحة الشواء تملأ جو المكان وتبدو أقوى من المعتاد.

كانوا أربعة رجال قد تملكهم الذعر، وعقدت المفاجأة ألسنتهم فراحوا

يتبادلون نظرات الحيرة والجزع ولا يقوون على الكلام.

أما "**مولي**" فكانت شاحبة اللون، زائغة البصر، مرتجفة الأوصال، لا تكاد تقوى على حمل قدح الشراب الذي ألح عليها المفتش "**تروتر**"في أن تتناوله.

ووقف المفتش متجهمًا مغضبًا يتفرَّس في وجوه الرجال الأربعة ويحاول أن يستخلص منها شيئًا.

ولم يكن قد انقضى أكثر من خمس دقائق منذ سمع صراخ "**مولي**" الذي أفزع الرجال وجعلهم يهرولون إلى قاعة المكتبة.

قال المفتش:

– إنها قتلت قبل لحظات من وصولك إليها يا سيدة "**دافيز**"، فهل أنت واثقة بأنك لم تري أحداً ولم تسمعي شيئًا في أثناء اجتيازك البهو في طريقك إلى قاعة المكتبة..؟

فأجابت "**مولي**" بصوت خافت:

– سمعت صفيراً.. ولكني أعتقد أن ذلك كان قبل أن أخرج إلى البهو. وأظن– ولست واثقة تمامًا– بأنني سمعت، وأنا أدخل قاعة المكتبة صوت باب في ناحية ما يغلق بهدوء.

– أي باب..؟

– لا أعلم.

– فكري يا سيدة "**دافيز**".. حاولي أن تتذكري.. هل كان الباب في الطابق الأول.. أو في الطابق الأرضي؟ كان إلى اليسار أو إلى اليمين؟

فصاحت "**مولي**":

– قلت لك إنني لا أعلم.. بل لست واثقة بأنني سمعت شيئًا على الإطلاق.

فقال "**جايلز**" في غضب محدثًا المفتش:

– أما آن لك أن تكف عن مضايقتها..؟ ألا ترى أنها في حالة انهيار تام..؟

– إنني أقوم بالتحقيق في جريمة قتل يا سيد "**دافيز**".. آسف، يا قبطان "**دافيز**"..

– إنني لا أستخدم رتبتي العسكرية يا سيدي المفتش.

– على رسلك يا سيدي..

وصمت قليلاً ثم استطرد قائلاً:

– إنني أقوم كما قلت لك بالتحقيق في جريمة قتل وحتى الآن، لم يأخذ أحد كلامي مأخذ الجد، وقد حجبت عني السيدة "**بويل**" ما لديها من معلومات.. بل إنكم جميعًا قد حجبتم عني ما لديكم من معلومات..

وها هي السيدة "**بويل**" قد قتلت، فإذا لم نصل إلى الحقيقة وبسرعة، فإن جريمة أخرى قد تقع.

– جريمة أخرى؟

فقال "**تروتر**" بصوت رصين:

– لأنه كانت هناك « ثلاثة جرذان صغيرة عمياء »..

فقال "**جايلز**" في دهشة:

– أتعني جريمة لكل واحد من الجرذان..؟ ولكن ذلك يتطلب وجود شخص آخر له صلة بذلك الحادث.

– نعم.. لا بد أن هناك شخصاً آخر كانت له صلة بالحادث.

– ولكن لماذا تظن أن جريمة ثانية سترتكب هنا..؟

– لأن الدفتر الصغير لم يكن به سوى عنوانين.. أحدهما عنوان المنزل رقم 74 بشارع "**كالفر**"، ولم يكن بهذا المنزل سوى ضحية واحدة محتملة.. وقد

قتلت فعلاً.. والثاني عنوان قصر "**مانكسويل**".. والمجال في هذا القصر أفسح..

– هذا هراء يا "**تروتر**"! فليس من المعقول أن يجتمع هنا بطريق المصادفة شخصان لهما صلة بقضية مزرعة "**لونجريدج**".

– لو وضعنا في الاعتبار ظروفًا معينة لوجدنا أن الأمر ليس مصادفة. حاول أن تستخلص معنى هذا الكلام يا سيد "**دافيز**".

ثم التفت إلى الآخرين وقال:

– لقد سمعت أقوالكم عن الأماكن التي كنتم فيها عندما قُتلت السيدة "**بويل**".. وسأستعرض الآن هذه الأقوال: السيد "**كريستوفر رين**".. هل قلت إنك كنت في غرفتك عندما سمعت صرخة السيدة "**دافيز**"..؟

– نعم أيها المفتش.

– وأنت يا سيد "**دافيز**".. هل كنت تفحص وصلة التليفون في غرفتك..؟

– نعم.

– قال السيد "**برافتشيني**": «إنه كان يعزف على البيانو في قاعة الاستقبال».

– هل سمعك أحد وأنت تعزف يا سيد "**برافتشيني**"..؟

– الواقع، إنّني كنت أعزف بهدوء وبإصبع واحدة.

– وأية أغنية عزفت..؟

– أغنية (ثلاثة جرذان عمياء).. النغم نفسه الذي كان يصفره السيد "**كريستوفر رين**".. والذي يستحوذ على اهتمام الجميع هنا.

فقالت "**مولي**":

– إنه نغم مقيت.

وسأل "**متكالف**" :

– وأسلاك التليفون.. ماذا وجدت بشأنها..؟ هل قطعت عمداً..؟فقال "**تروتر**" :

– نعم يا عقيد.. لقد انتزع جزء منها كان فوق نافذة قاعة الطعام.. إنني اكتشفت ذلك في ذات اللحظة التي صرخت فيها السيدة "**دافيز**" .

فقال "**كريستوفر رين**" بصوته الحاد :

– ولكن هذا جنون. كيف يتصور القاتل أنه يستطيع الإفلات من القصاص..؟

فصعده المفتش بعينيه مليًا وقال في تؤدة :

– لعله لا يحفل كثيراً بذلك.. أو لعله يتوهم أنه أقوى منا وأكثر دهاء.. إن المجرمين غالبًا ما يتوهمون ذلك. تلك حقيقة تعلمناها من دروس علم النفس التي تلقيناها في أثناء إعدادنا للخدمة.

فقال "**جايلز**" :

– أرى أننا نطيل الحديث على غير طائل.

– صدقت.. سيقتصر حديثنا بعد الآن على كلمتين لا ثالثة لهما. (القتل) و(الخطر).. في هاتين الكلمتين يجب أن نركز كل تفكيرنا. والآن.. أريد أن أتحقق من تحركاتك وتصرفاتك يا عقيد "**متكالف**".. تقول إنك كنت في القبو.. لماذا..؟

فأجاب العقيد :

– لا لسبب معين.. كنت أتجول في الفندق ونظرت بداخل الدولاب الموجود تحت الدرج.. وحانت مني التفاتة فرأيت بابًا صغيراً بجانب الدولاب..

فتحت الباب، ورأيت سُلمًا يتألف من بضع درجات. وقادني هذا السلم إلى قبو فسيح.

والتفت إلى "**جايلز**" واستطرد قائلاً:

– إن لديك قبواً رائعًا يا "**جايلز**"! لقد خيل إليّ أنني في أحد الأديرة العتيقة.

فقال "**تروتر**" بخشونة:

– إن الأديرة والمباني القديمة ليست موضوع بحثنا الآن يا عقيد "**متكالف**".. إننا بسبيل تحقيق جريمة قتل ذهبت ضحيتها إحدى نزيلات الفندق.

–هل لك في أن تُصغي قليلاً يا سيد "**دافيز**"..؟» إنني سأترك باب المطبخ مفتوحًا.

قال ذلك وغادر المطبخ.

وبعد قليل، سمع القوم صوت باب يغلق بصرير خافت.

وعاد "**تروتر**" ووقف بباب المطبخ وهو يقول:

– هل هدا هو الصوت الذي سمعته يا سيدة "**دافيز**"..؟

فأجابت "**مولي**" بعد تردد قصير:

– أظن، أظن أنه يشبهه.

– إنه صوت باب الدولاب القائم تحت الدرج. ومن المحتمل أن يكون القاتل بعد أن فتك بالسيدة "**بويل**" قد اجتاز البهو وسمع وقع خطواتك حين غادرت المطبخ فأسرع إلى الدولاب واختبأ به.

– إذا صحّ ذلك فلابد أن يكون قد ترك بصماته داخل الدولاب.

فقال "**متكالف**":

– إن بصماته موجودة بالدولاب فعلاً.

فقال "**تروتر**":

– هذا طبيعي.. ونحن الآن نعرف أسباب وجودها هناك.

فقال "**جايلز**" :

– أصغ إليّ أيها المفتش.. لنفرض أنك مكلف فعلاً ببحث هذه القضية، ولكن هذا الفندق فندقي.. وأنا المسؤول إلى حد ما عن نزلائه. أفليس من الواجب أن نتخذ بعض الإجراءات الوقائية للمحافظة على سلامة النزلاء .؟

– أي نوع من الاحتياطات يا سيد "**دافيز**"؟

– سأكون صريحاً.. إن في مقدورنا مثلاً أن نحجز على الشخص الذي أخذ الشبهات بتلابيبه أكثر من سواه.

قال ذلك ونظر إلى "**كريستوفر رين**".. فاندفع "**كريستوفر**" إلى الأمام وهو يصيح بصوت ثاقب مرتفع:

– ليس هذا صحيحاً.. كلكم تناصبونني العداء كلكم تريدون أن تلصقوا بي تهمة أنا بريء منها.. هذا هو الاضطهاد في أبشع صوره.

فقال "**متكالف**" في هدوء:

– رويدك يا بني.

وتقدمت "**مولي**" إلى الأمام، وقالت وهي تربت كتف الشاب:

– طِب نفساً يا "**كريستوفر**".. فليس هناك من يضطهدك أو يناصبك العداء..

والتفتت إلى "**تروتر**" وقالت:

– قل له أن يطمئن.

فقال المفتش:

– إننا لا نضطهد أحداً، ولا نلفق التهم لأحد.

فقالت "**مولي**" مرة أخرى:

– قل له إنك لا تنوي اعتقاله.

فقال "**تروتر**" :

– إنني لن أعتقل أحداً.. لابد من دليل يبرر الاعتقال،وليست لدينا أدلة في الوقت الحاضر.

فصاح "**جايلز**":

– هل جننت يا "**مولي**"..؟ وأنت كذلك أيها المفتش..؟ لا يوجد هنا سوى شخص واحد تنطبق عليه أوصاف القاتل.. وهذا الشخص..

فقاطعته "**مولي**" بهدوء:

– مهلاً يا "**جايلز**"، مهلاً..

والتفتت إلى "**تروتر**" واستطردت قائلة:

– هل أستطيع أن أتحدث إليك لحظة أيها المفتش..؟

فقلب "**جايلز**" شفتيه وقال:

– سأنتظر هنا.

فقالت "**مولي**":

– كلا يا "**جايلز**"، تعال معنا.. أرجوك.

فهتف "**جايلز**" وقد أظلم وجهه:

– في الحق لا أدري ماذا دهاك يا "**مولي**"؟!

وتبع "**مولي**" والمفتش إلى الخارج، وأغلق الباب وراءه بعنف. وهناك قالت "**مولي**":

– نعم يا سيد "**تروتر**"، عندما حدثتنا عن قضية مزرعة "**لونجريدج**" كان من الواضح أنك تعتقد أن أكبر الأشقاء الثلاثة هو المسؤول عن هذه الجرائم.. ولكنك لست على يقين من ذلك.

– هذا صحيح يا سيدة "**دافيز**".. ولكن جميع الاحتمالات تشير إليه.. فهو مخبول، وقد فر من الجيش، وتقرير الطبيب النفسي يؤكد خبله.

فقالت "**مولي**":

– أعلم ذلك.. وأعلم أن جميع القرائن تشير إلى "**كريستوفر**".. ولكني لا أعتقد أنه القاتل.. لابد أن هناك احتمالات أخرى.. ألم يكن للأطفال الثلاثة أقارب..؟ ألم يكن لهم أبوان مثلاً..؟

– بلى، ولكن الأم توفيت، والأب كان مُجنداً في الخارج.

– ما قولك في الأب..؟ أين هو الآن..؟

– ليست لدينا أية معلومات.. كل ما نعرفه عنه أنه ترك خدمة الجيش في العام الماضي.

– إذا كان الابن مخبولاً.. أفلا يحتمل أن يكون الأب مصاباً بالخبل أيضاً..؟

– ذلك محتمل.

– إذن فمن الممكن أن يكون القاتل متوسط العمر أو متقدماً في السن، يجب ألا يغرب عن بالك أن العقيد "**متكالف**" اضطرب أشد الاضطراب حين قلت إن البوليس اتصل بنا تليفونياً.. أؤكد لك أن اضطرابه كان واضحاً.

فقال "**تروتر**" في هدوء:

– صدقيني يا سيدة "**دافيز**".. إنني وضعت كافة الاحتمالات في اعتباري منذ البداية.. فكرت في أكبر الأطفال، واسمه "**جيم**"، وفكرت في الأب، وفي الأخت؛ لأنه من الممكن جداً أن يكون القاتل امرأة..

صفوة القول إنني لم أغفل شيئاً.. فقد تكون لدي فكرة صحيحة، ولكن ينقصها الدليل الذي يؤيدها.

الواقع أنه من العسير جداً أن يثق الإنسان بأي شيء أو بأي شخص، وبخاصة في هذه الأيام.. نحن الذين نعمل في البوليس نرى عجباً كل يوم.. فيما يتصل بالزواج بصفة خاصة.. فالناس يتزوجون على عجل، ولا يُكلفون أنفسهم عناء البحث والاستقصاء عن العائلات والأقارب.. كل طرف من طرفي الزواج يثق

بكلمة الآخر.

يقول الشاب مثلاً إنه طيار، أو ضابط في الجيش.. فتثق الفتاة بكلامه ثقة عمياء، وقد يمضي عام أو عامان قبل أن تكتشف أنه جندي هارب، أو صرّاف مختلس له زوجة وعدة أطفال.

وتريث برهة ثم قال:

– إنني أعرف جيداً ما يدور بخلدك يا سيدة "**دافيز**"، ولكن ثمة أمراً أود أن تعلميه.. هو أن القاتل يستمتع الآن بما فعل.

هذا هو الأمر الوحيد الذي لا يخامرني فيه أي شك.

قال ذلك وسار نحو الباب.

- 13 -

وقفت "**مولي**" جامدة في مكانها، وقد صعد الدم إلى وجنتيها.. وبعد دقيقة أو دقيقتين.. اقتربت من الموقد وجثت أمامه، وفتحت باب الفرن فانبعثت منه رائحة الطعام الناضج. وأحست "**مولي**" بكثير من الارتياح، كما لو كانت هذه الرائحة قد ردتها إلى الحياة العادية. حياة ربة البيت التي تطهو الطعام وترتب الثياب وتنظم البيت، ولا شأن لها بالكابوس الذي يجثم على صدور نزلاء الفندق. أحسَّت للحظات أنها في بيتها الهادئ تطهو لزوجها كما اعتادت النساء أن يطهون لأزواجهن منذ قديم الأزل.

*****

وفتح باب المطبخ فنظرت خلفها ورأت "**كريستوفر رين**" مُقبلاً نحوها.

كان شاحب الوجه.. لاهث الأنفاس.

–هل علمت بما حدث أيتها العزيزة..؟ لقد سرق بعضهم أدوات الانزلاق الخاصة بالمفتش "**تروتر**".

فبهتت "**مولي**" وهتفت:

– غير معقول..!!

ثم استطردت قائلة:

– إن الذي سرق أدوات الانزلاق لابد أن يكون شخصًا آخر غير القاتل؛ لأن القاتل يسعده أن يرحل المفتش عنا.. والمفتش لا يستطيع ذلك الآن بعد أن سُرقت أدواته.. الواقع أنني لا أفهم شيئًا.

– لقد وضعها "**جايلز**" بنفسه في الدولاب تحت الدرج..ولكنه لم يجدها.

– شيء محير.. أليس كذلك؟

فضحك "**كريستوفر**" وقال:

– إن المفتش يكاد ينفجر غيظًا.. إنه يتهم العقيد "**متكالف**"، والعقيد المسكين يصر على أنه لم يرها حين فتح الدولاب قبيل مقتل السيدة "**بويل**". ثم انحنى إلى الأمام وقال بصوت خافت:

– هل تريدين رأيي..؟ إنها حطمت أعصابنا جميعًا.. أما أنا فلا.. إنها لن تحطمني.. بل إنني أجد فيها إثارة ومتعة لا حد لهما.. إن كل شيء يبدو غير طبيعي إلى حد يثير الضحك.

فقالت "**مولي**" بحدة:

– من السهل أن تقول ذلك؛ لأنك لم تكن أول من رأى جثة السيدة "**بويل**". إن صورتها لن تبرح ذهني ما حييت، ولن أنسى منظر وجهها المتورم المحتقن..

ومرت بجسدها رعدة شديدة، فاقترب منها "**كريستوفر**"وقال وهو يضع يده على كتفها:

– أنا آسف. الواقع ، إنني لم أفكر في ذلك.. فقالت "**مولي**" وهي تغالب غصة في حلقها:

– منذ لحظة.. كان كل شيء يبدو على ما يرام.. الطهي..والمطبخ والبيت.. ثم فجأة .. عادت الذكريات كالكابوس..

فرمقها "**كريستوفر**" بإشفاق وقال في هدوء:

– يؤسفني أنني نكأت جرحًا داميًا.. فأكرر لك اعتذاري، ولعله من الأوفق الآن أن أنسحب حتى لا أكون مصدر ضيق لك.

ولكنه ما كاد يضع يده على مقبض الباب حتى صاحت "**مولي**" :

– كلا لا تذهب .

فدار على عقبيه ونظر إليها متسائلاً.. ثم عاد أدراجه ببطء.

قال بصوت خافت:

– أتعنين ذلك حقًا؟

– أعني ماذا..؟

– أنك لا تريدينني أن أذهب..؟

– كلا، لا أريد أن أبقى وحدي.. إن الوحدة تخيفني.

فجلس "**كريستوفر**" بجوار المائدة، وجثت "**مولي**" أمام الفرن، ورفعت بعض الفطائر إلى رف أعلى بداخله ثم أغلقت باب الفرن وعادت إلى "**كريستوفر**" .

قال:

– هذا عجيب حقًا.

– ماذا..؟!

– من عجب أنك لست خائفة من البقاء معي.. إنك خائفة.. أليس كذلك؟ رغم أنني الشخص الوحيد الذي تنطبق عليه أوصاف القاتل..؟

– إن هناك احتمالات أخرى ذكرتها للمفتش "**تروتر**" .

– وهل وافق على وجهة نظرك..؟

فأجابت "**مولي**" ببطء:

– إنه لم يستبعدها .

*****

وتذكرت– وهي تقول ذلك– بعض عبارات تفوه بها "**تروتر**" وظلت تلح عليها طول الوقت.. وبخاصة قوله: (إنني أعرف جيداً ما يدور بخلدك يا سيدة "**دافيز**").. ترى هل كان يعرف حقًا؟ هل كان في استطاعته أن يعرف..؟ كذلك قال: (إن القاتل يستمتع الآن بما فعل..) فهل هذا صحيح..؟

قالت تحدث "**كريستوفر**" :

– هل تجد حقًا متعة فيما حدث.. على الرغم مما قلته في التو واللحظة..؟

فصاح:

– يا إلهي!! كيف تقولين كلامًا كهذا..؟

– أنا لم أقله.. إنما قاله المفتش "**تروتر**" .. كم أكره هذا الرجل!! إنه يضع في رأسك أشياء لا حقيقة لها، ولا يمكن أن يكون لها ظل من الحقيقة.

ودفنت وجهها بين كفيها، فنهض "**كريستوفر**" ورفع يديها عن وجهها في رفق وقال:

– ماذا حدث يا "**مولي**" ..؟ تكلمي.

وسمحت له بأن يجلسها على مقعد بجوار مائدة المطبخ..

لم يكن في تلك اللحظة كعهدها به شابًا عصبيًا. ساخراً، أرعن.. كل ذلك اختفى فجأة..

قال مرة أخرى:

– ماذا حدث يا "**مولي**" ..؟

فرمقته بنظرة طويلة كمن يريد تقييم محدثه ثم سألته:

– منذ متى عرفتك يا "**كريستوفر**" ..؟ منذ يومين..

– نعم..وتظنين على الرغم من قصر المدة أن كلاً منا يعرف الآخر منذ وقت طويل.. أليس كذلك؟

– بلى.. أليس ذلك غريبًا..؟

– لا أعلم.. إن بيننا نوعًا من التعاطف.. ربما؛ لأن كلاً منا قد عرف في حياته معنى الشقاء.

فقالت له في هدوء، كمن يقرر حقيقة لا كمن يلقي سؤالاً:

– "**كريستوفر رين**" ليس اسمك الحقيقي.. أليس كذلك؟

– بلى..

– لماذا عمدت إلى..

– إلى تغيير اسمي..؟ إنها الرغبة في المداعبة.. كانوا في المدرسة يدعونني "**كريستوفر رين**".. فانتحلت اسم "**كريستوفر رين**".. توارد أسماء فحسب.

– وما اسمك الحقيقي؟

فأجاب في هدوء:

– لا جدوى من الخوض في هذا الموضوع.. إن اسمي الحقيقي لن يدلك على شيء.. ولن يعني شيئًا بالنسبة إليك، يكفيك أن تعلمي أنني لست مهندسًا.. الواقع أنني هارب من الجيش. وللحظة يسيرة، تألقت في عيني "**مولي**" نظرة تنم عن الرعب. ورأى "**كريستوفر**" هذه النظرة وقال:

– نعم، تمامًا مثل ذلك القاتل المجهول.. ألم أقل لك إنني الشخص الوحيد الذي تنطبق عليه أوصافه..؟

فقالت "**مولي**":

– لا تكن مـغـفـلاً.. قلت لك إنني لم أتصـور لحظة أنك القـاتل.. تكلم..حدثني عن نفسك.. لماذا هربت من الجيش..؟

– بسبب الأعصاب..؟

– تعني بسبب الخوف..؟

– كلا، من عجب أنني لم أخف أكثر من الآخرين.. بل لقد اشتهرت في جميع المعارك التي خضتها بالثبات ورباطة الجأش.. كلا، إنني هربت من الجيش لسبب آخر مختلف.. هربت بسبب أمي.

– أمك؟

– نعم، إنها قتلت في إحدى الغارات الجوية.. دفنت تحت الأنقاض، وظلت تحت الأنقاض عدة أيام حتى أخرجوها جثة هامدة، ولا أدري ماذا دهاني عندما علمت بالنبأ؟ أعتقد أنني أصبت بمس من الجنون.. فقد خُيِّل إليّ أنني أنا الذي دفنت تحت الأنقاض، وشعرت برغبة ملحة في أن أعود إلى البيت بأسرع ما أستطيع لكي أزيل الأنقاض وأخرج نفسي من تحتها.. ليس في استطاعتي أن أوضح لك الأمر تمامًا.. كنت مذهولاً ..وكانت الأمور مختلطة في ذهني.. ونكس رأسه، ودفن وجهه بين كفيه وقال بصوت مختنق:

– همت على وجهي طويلاً، وبحثت عنها.. أو عن نفسي.. لا أدري أيهما.. وعندما هدأت ثائرتي، وعاد إليّ صفاء ذهني.. خشيت من العودة إلى الجيش، كنت أعلم.. أنني لن أستطيع إيضاح مشاعري أو تبرير غيابي، ومنذ ذلك الوقت وأنا أشعر بأنني لا شيء.

وكف عن الكلام،ورفع إليها وجهًا قد زاغت عيناه، وغار صدغاه، ورأت "**مولي**"، أمامها تمثالاً حيًا لليأس والقنوط.

وقالت له:

– يجب أن تقاوم هذا الشعور.. فما زال في استطاعتك أن تبدأ من

جديد..

– هل يمكن ذلك..؟

– بالتأكيد، إنك في شرخ الشباب.

– ولكني وصلت إلى النهاية.

– كلا، إنك لم تصل إلى النهاية، ولكنك تظن أنك وصلت إليها. وأعتقد أن كل إنسان قد شعر بمثل ذلك مرة على الأقل في حياته.. فخيل إليه أنه وصل إلى النهاية، ولن يستطيع الاستمرار..

– هل عانيت هذا الشعور يا "**مولي**"..؟ لا بد أنك عانيته، وإلا ما استطعت أن تتحدثي عنه على هذا النحو.

– نعم. أصابني ما أصاب الكثيرين.. كنت مخطوبة لطيار شاب، وقتل في الحرب. نعم، أصبت بصدمة عنيفة وأنا صغيرة.. واجهت القسوة والوحشة بكل معانيهما. حتى خيل إليّ أن الحياة كلها شرور وأهوال ثم جاء مصرع خطيبي فضاعف من إحساسي بقسوة الحياة.

فقال "**كريستوفر**" وهو لا يحول عينيه عنها:

– ثم جاء "**جايلز**" بعد ذلك.

– نعم.

وهنا رأى "**كريستوفر**" ابتسامة رقيقة خجولاً تضطرب على شفتيها..

ومضت "**مولي**" في حديثها.. قالت:

– جاء "**جايلز**".. وجاء معه الإحساس بالأمان والسعادة. ولكن الابتسامة ما لبثت أن تلاشت عن شفتيها، وتجهم وجهها ومرت بجسدها رعدة.. فهتف الشاب:

– ماذا بك يا "**مولي**"..؟ ماذا يخيفك..؟ أنت خائفة.. أليس كذلك..؟

فأطرقت برأسها.

قال:

– هل لخوفك صلة بـ"**جايلز**" أو بشيء قاله أو فعله؟

– ليس "**جايلز**" في الواقع.. وإنما الرجل المخيف الآخر.

فدهش "**كريستوفر**" وقال:

– أي رجل..؟ "**برافتشيني**"..؟

– كلا.. كلا.. المفتش "**تروتر**"..

– المفتش "**تروتر**"..؟

– إنه يشير إلى أشياء.. ويلمح إلى أشياء.. ويوحي إليَّ بأفكار مخيفة عن "**جايلز**".. أفكار لم تمر بذهني.. ولم تخطر ببالي.. إنني أمقته.. أمقته.

فرفع "**كريستوفر**" حاجبيه تعبيراً عن دهشته وقال:

– "**جايلز**"..؟ "**جايلز**"؟ نعم.. إنني وإياه في سن واحدة تقريبًا.. كان يخيل إليّ أنه أسن مني، ولكن يبدو أنني كنت مخطئًا.. نعم.. إن أوصاف القاتل تنطبق على "**جايلز**" أيضًا..

ولكن أصغي إليَّ يا "**مولي**".. كل هذا كلام فارغ إن "**جايلز**" كان معك هنا يوم أن قتلت المرأة في "**لندن**".

فصمتت "**مولي**" ولم تجب. ونظر إليها "**كريستوفر**" بحدة وسأل:

– ألم يكن هنا؟ فقالت "**مولي**" وهي تلهث، والكلمات تختلط في فمها:

– نعم لم يكن هنا إنه خرج بسيارته، وغاب طوال النهار، قال: إنه ذهب إلى إحدى المدن البعيدة؛ لشراء نوع من الأسلاك كانت تباع هناك.. ذلك ما قاله، وذلك ما اعتقدته إلى أن.. إلى أن..

– إلى أن..؟

فمدت "**مولي**" يدها ببطء إلى جريدة "**الإيفننج ستاندارد**" التي كانت على المائدة.. وأشارت إلى تاريخها فقرأ "**كُريستوفر**": «طبعة "**لندن**"» بتاريخ أمس الأول.

قالت "**مولي**":

– كانت هذه الجريدة في جيب "**جايلز**" عندما عاد، وهي تدل على أنه ذهب إلى "**لندن**".

فحملق "**كريستوفر**" إلى وجهها، ثم حملق إلى الجريدة، ثم بدأ يصفر بشفتيه.. ولكنه أمسك على الفور.. لم يكن الوقت مناسبًا لترديد ذلك النغم.

وقال وهو يتجنب النظر إلى عينيها ويتخير الألفاظ بعناية:

– ماذا تعلمين صراحة عن "**جايلز**"..؟

فصاحت "**مولي**":

– صه، صه.. إن ذلك هو ما قاله أو ما لمح إليه ذلك الوحش "**تروتر**"..قال: «إن النساء في الغالب لا يعرفن شيئًا عن الرجال الذين يقترنون بهن وبخاصة في زمن الحرب، وإنهن يُصدقن كل ما يقوله الرجال عن أنفسهم».

– أعتقد أن ذلك صحيح..

– لا تقل أنت أيضًا هذا الكلام فإنني لا أطيق سماعه.. إن توتر أعصابنا يجعلنا نصدق كل ما يقال مهما بلغ من الغرابة والشذوذ.. وليس صحيحًا على الإطلاق ما..

ولم تتم عبارتها، فقد فتح باب المطبخ في تلك اللحظة، ودخل "**جايلز**" كان عابس الوجه مقطب الجبين. قال وهو ينقل بصره بين "**مولي**" و"**كريستوفر**":

– هل قطعت حديثكما..؟

فابتسم "**كريستوفر**" وأجاب:

– كنت أتلقى درساً في طهو الطعام..

– أحقًّا..؟! أصغ إليّ يا "**رين**".. إن المحادثات الثنائية غير مرغوب فيها في هذه الظروف، ويحسن بك أن تبتعد عن المطبخ.. هل سمعت..؟

– ولكن..

– وابتعد كذلك عن زوجتي يا "**رين**".. فإنها لن تكون الضحية التالية.

فقال "**كريستوفر رين**":

– الواقع أن سلامتها هي محور اهتمامي..

*****

ويبدو أن "**جايلز**" لم يدرك مغزى هذه العبارة؛ لأنه تقدم خطوة أخرى إلى الأمام وصاح وقد اربد وجهه:

– دع لي هذا الاهتمام.. والآن، اغرب عن وجهي.

فقالت "**مولي**" في هدوء:

– أرجوك أن تذهب يا "**كريستوفر**".

فمشى "**كريستوفر**" إلى الباب ببطء، وقال موجهاً الكلام لـ"**مولي**":

– لن أذهب بعيداً.

وكان لعبارته معناها الواضح فصاح "**جايلز**":

– اخرج من هنا..

فضحك "**كريستوفر**" ضحكة صبيانية عالية، وقال:

– رفّه عنك يا قبطان.

وخرج وأغلق الباب وراءه، وتحول "**جايلز**" إلى زوجته وصاح:

– ماذا دهاك بحق السماء يا "**مولي**"..؟! هل فقدت صوابك..؟! كيف تنفردين مع مجرم معتوه في مكان مغلق..؟

- إنه ليس الـ. . . .

وأبدلت عبارتها بسرعة وقالت:

- إنه ليس مجرمًا ولا معتوهًا، وعلى كل حال فإنني أعرف كيف أحرص على سلامتي.

فضحك "**جايلز**" ضحكة مقيتة وقال:

- ذلك أيضًا ما كانت تتوهمه السيدة "**بويل**".

فصاحت "**مولي**":

- أرجوك يا "**جايلز**".. لا تذكرني بها.

- آسف يا عزيزتي.. إن هذا الصبي التعس قد أثارني.. ولست أدري في الحق ما يعجبك به.

فقالت "**مولي**" ببطء:

- إنني أعطف عليه.

- تعطفين على قاتل معتوه..؟

فرمقته "**مولي**" بنظرة عجيبة وأجابت:

- نعم.. في استطاعتي أن أعطف على قاتل معتوه.

- وتدعينه كذلك باسمه "**كريستوفر**" مجردًا..؟ منذ متى زالت الكلفة بينكما..؟

- لاتكن مضحكًا يا "**جايلز**".. كل الناس يتنادون بالأسماء مجردة في هذه الأيام.. وأنت تعلم ذلك.

- أتزول الكلفة بعد يومين اثنين..؟ أم لعلك كنت تعرفينه من قبل.. لاشك في أنك عرفت السيد "**كريستوفر رين**" المهندس الزائف، قبل أن يأتي إلى هذا الفندق، بل ربما دبرتما الأمر بينكما واتفقتما على اللقاء هنا.

فنظرت إليه "**مولي**" في دهشة بالغة وصاحت:

– هل جننت يا "**جايلز**" ..؟ ماذا تعني بحق السماء؟

– أعني أن "**كريستوفر رين**" صديق قديم لك، وأن بينكما صلة وثيقة لا تريدين أن أعرفها.

– لابد أنك جننت يا "**جايلز**".

– أكبر الظن أنك ستزعمين بإصرار أن بصرك لم يقع عليه قبل أن يأتي إلى هذا الفندق.. أليس عجيباً أن يقيم شاب مثله في فندق منعزل بعيد عن العمران كهذا الفندق؟

– وهل ذلك أعجب من إقامة العقيد "**متكالف**"؟و... والسيدة "**بويل**"..؟

– أظن ذلك.. فقد قرأت أكثر من مرة، أن لهؤلاء المجانين القتلة جاذبية خاصة تستهوي النساء، ويبدو أن ذلك صحيح.. حدثيني. كيف عرفت هذا الشاب؟ ومنذ متى توقفت الصلة بينكما..؟

– إنك لاتطاق يا "**جايلز**".. أؤكد لك أنني لم أر "**كريستوفر رين**" قبل أن يحضر إلى هذاالفندق.

– ألم تذهبي إلى "**لندن**" منذ يومين لمقابلته، والاتفاق معه على التظاهر هنا بأن كلاً منكما لا يعرف الآخر..؟

– أنت تعرف جيداً أنني لم أذهب إلى "**لندن**" منذ عدة أسابيع.

– لم تذهبي إلى "**لندن**" منذ عدة أسابيع..؟ هذا رائع. قال ذلك، وأخرج من جيبه قفازاً قدمه إليها وهو يقول: أليس هذا هوالقفاز الذي كان في يدك أمس الأول؟ يوم أن ذهبت أنا إلى "**سيليهام**"؛ لشراء الأسلاك فأجابت "**مولي**"، وهي تنظر إليه بثبات:

– نعم، إنني استعملت هذا القفاز يوم أن ذهبت أنت إلى "**سيليهام**" لشراء الأسلاك.

– قلت لي يومئذ : إنك ذهبت إلى القرية فقط كما زعمت.. فما معنى وجود هذه في القفاز؟

وأخرج من القفاز تذكرة الأتوبيس الحمراء، ورمق زوجته بنظرة اتهام. وساد الصمت لحظة.

قال "**جايلز**" :

– إنك ذهبت إلى "**لندن**" .

فرفعت "**مولي**" رأسها في تحدٍ وقالت :

– نعم، إنني ذهبت إلى "**لندن**" .

– لمقابلة هذا المدعو "**كريستوفر رين**" ؟

– كلا، لم أذهب إلى هناك لمقابلة "**كريستوفر**" .

– لماذا ذهبت إذن..؟

– لن أذكر لك السبب الآن يا "**جايلز**" .

– معنى ذلك أنك تريدين فسحة من الوقت لانتحال عذر مقبول.

فقالت "**مولي**" :

– إنك مقيت، وأنا أكرهك.

فقال "**جايلز**" ببطء :

– أنا لا أكرهك.. ولكنني أتمنى في هذه اللحظة أن يمتلئ قلبي كراهية.. إنني أشعر كأنني لا أعرفك.. ولا أعرف شيئًا عنك.

فقالت "**مولي**" :

– وذلك هو شعوري نفسه.. إنك بالنسبة إليّ مجرد رجل غريب.. رجل لا يفتأ يكذب عليّ.

– هل كذبت عليك يومًا..؟

فضحكت "**مولي**" وأجابت :

– هل تظن أنني صدقت قصتك عن شراء الأسلاك..؟ أنت أيضًا كنت في "**لندن**" في ذلك اليوم.

فقال "**جايلز**":

– لاشك في أنك أبصرتني هناك، ولم يكن لك من الثقة بي ما..

– الثقة بك..؟! إنني لن أثق بأحد بعد الآن.

*****

ولم يشعر الزوجان وهما في ذروة الانفعال، بباب المطبخ حين فُتح في هدوء..

وسعل "**برافتشيني**" يعلن عن وجوده وهمس قائلاً:

– أشد ما يرتبك الإنسان حين يجد نفسه بين عاشقين يتشاجران!!

فقال "**جايلز**" ساخرًا:

– عاشقان حقًّا!!

– إنني أعرف شعورك يا بني.. لقد عرفته حين كنت شابًا في مثل سنك.. ولكني ما لهذا جئت.. إنماجئت لأقول لكما إن المفتش يصر على أن نذهب جميعًا إلى قاعة الاستقبال.

وصمت "**برافتشيني**" قليلاً ثم استطرد قائلاً:

– يبدو أن لديه فكرة ما.. لقد تعودنا أن نسمع أن البوليس لديه دليل.. أما أن يكون لدى البوليس فكرة .. فذلك هو الجديد الذي استحدثه صديقنا المفتش "**تروتر**"..يخيل إليّ أنه رجل مفرط في النشاط، ولكني لا أظن أنه حاد الذكاء.

فقالت "**مولي**":

– اذهب أنت يا "**جايلز**".. أما أنا فيجب أن أشرف على طهو الطعام..

وأظن أن المفتش "**تروتر**" يستطيع العمل بدوني..

فقال "**برافتشيني**" وهو يقترب من "**مولي**" بخفة:

– بمناسبة الحديث عن طهو الطعام.. هل جربت مرة وضع كبد الدجاج على قطعة من الخبز المقدد وعليه بعض الخردل؟

فقال "**جايلز**":

– إننا لا نرى الخردل الفرنسي في هذه الأيام.. هلم بنا يا سيد "**برافتشيني**".

قال "**برافتشيني**":

– هل أبقى معك؛ لأساعدك يا سيدتي العزيزة..؟

فقال "**جايلز**":

– كلا يا سيد "**برافتشيني**".. إنك ستأتي معي إلى قاعة الاستقبال.

فضحك "**برافتشيني**" وقال:

– أرأيت يا سيدة "**دافيز**".؟ أن زوجك يخشى عليك مني، ولا يطيق فكرة بقائي معك وحدنا.. مما يؤسف له أنه يخشاني كقاتل، لا كعاشق.. لا بأس.. هأنذا أرضخ للقوة وأخرج مرغماً..

قال ذلك– وأحنى قامته باحترام شديد.. وقبل أنامله.. وأرسل القبلة في الهواء إلى "**مولي**".. فلم تتمالك هذه عن الابتسام. وقال "**برافتشيني**" يحدث "**جايلز**":

– إنك عاقل جداً أيها الشاب.. حذار من المغامرة.. ولا تترك شيئاً للظروف.. هل في استطاعتي مثلاً أن أثبت لك أو للمفتش أنني لست قاتلاً معتوهاً..؟ كلا.. ليس ذلك في استطاعتي.؛ لأن من أصعب الأمور إثبات السلبيات، قال ذلك وراح يترنم بأغنية الجرذان فأجفلت "**مولي**" وقالت:

– أرجوك يا سيد "**برافتشيني**".. لا أريد سماع هذه الأغنية المزعجة..

– أنا آسف.. لقد نقشت هذه الأغنية في ذهني دون أن أشعر.. الواقع أنها أغنية مخيفة.. ولكن الأطفال يحبون الأشياء المخيفة، وقد لاحظت ذلك. انظري ما تقول الأغنية (وقطعت المرأة ذيول الجرذان بسكين حادة).. إن الأطفال يحبون القسوة.. وفي استطاعتي أن أروي لك عن.. فقاطعته "**مولي**" :

– صه بربك يا سيد "**برافتشيني**" ! يخيل إليّ أنك أيضًا تحب القسوة.. إنك أشبه بقط يلاعب فأراً.. وضحكت ضحكة عصبية، فقال "**جايلز**" :

– هلمي معنا يا "**مولي**" .. لنذهب جميعًا إلى قاعة الاستقبال قبل أن يفرغ صبر "**تروتر**" .. دعي الطهو الآن.. إن الجريمة أهم من الطعام.. فقال "**برافتشيني**" وهو يسير خلفهما بخطواته المتوثبة:

– إنني لا أوافقك على هذا الرأي.. إن المحكوم عليه بالإعدام يأكل بنهم شديد قبل إعدامه.. هذا ما يقولونه دائمًا.

- 14 -

لحق بهم "**كريستوفر رين**" في البهو، فقابله "**جايلز**" بالعبوس وأشاح عنه بوجهه.

ورمق "**كريستوفر**" "**مولي**" بنظرة سريعة أودعها كل ما يعتمل في نفسه من قلق، ولكنها مضت في طريقها منتصبة القامة مرفوعة الرأس لا تنظر يمنة ولا يسرة.

*****

ساروا جميعًا بعضهم وراء بعض فيما يشبه الموكب حتى وصلوا إلى قاعة

الاستقبال حيث وجدوا "**تروتر**" و"**متكالف**" في انتظارهم..

وكان "**متكالف**" عابسًا متجهم الوجه على نقيض "**تروتر**" الذي كانت تبدو على وجهه دلائل الارتياح والرضا.

قال المفتش وهو يجيل البصر بينهم:

– لقد جمعتكم هنا الآن لكي أقوم بتجربة معينة أرجو أن تتعاونوا معي لإنجاحها.

فسألته "**مولي**":

– هل ستستغرق هذه التجربة وقتًا طويلاً..؟ إن لدي عملاً في المطبخ لابد من إنجازه حتى نجد ما نأكله.

فأجاب:

– إنني أضع ذلك في الاعتبار يا سيدة "**دافيز**".. ولكني أرى أن هناك ما هو أهم من الطعام.. إن السيدة "**بويل**" مثلاً لم تعد بحاجة إلى طعام.

فقال "**متكالف**":

– حقًا إن هذه الملاحظة تجافي الكياسة أيها المفتش.

– أنا آسف يا عقيد "**متكالف**".. ولكنني أريد الجميع أن يتعاونوا معي في هذه التجربة.

فسألته "**مولي**":

– هل وجدت أدوات الانزلاق يا سيد "**تروتر**"..؟

فاحمر وجه المفتش وأجاب:

– كلا يا سيدة "**دافيز**".. لم أجدها.. ولكني أستطيع أن أقول لك إن لدي فكرة عمن أخذها، ولن أوضح أكثر من ذلك في الوقت الحاضر.

فقال "**برافتشيني**" متوسلاً:

– أرجوك ألا توضح أيها المفتش.. إنني أعتقد أن الإيضاحات يجب أن

تبقى طي الكتمان حتى النهاية وحتى الفصل الأخير.. تلك هي أصول اللعبة.

– هذه ليست لعبة يا سيدي.

– أتظن ذلك..؟ أعتقد أنك مخطئ فهذه بالنسبة إلى بعض الناس مجرد لعبة.

فهمست "**مولي**" قائلة:

– إن القاتل يستمتع الآن بما فعل.

فنظر الجميع إليها.. واحمر وجهها وقالت:

– هذه عبارة قالها لي المفتش "**تروتر**".

فبدا الاستياء على وجه "**تروتر**" ولكنه قال:

– إن السيد "**برافتشيني**" يتكلم عن الفصول الأخيرة، والنهايات المثيرة كما لو كنا بصدد قصة بوليسية.. ولكننا نعيش الآن قصة واقعية لا مجال فيها للخيالات والأوهام.. قصة تقع أحداثها أمام أبصارنا جميعًا.

فقال "**كريستوفر**" وهو يضع يده على عنقه:

– لتكن الأحداث ما تكون .. بشرط أن تقع بعيداً عني.

فقال"**متكالف**":

– كفى هذا أيها الشاب! إن المفتش يحدثنا الآن عما يريدنا أن نفعله.

فسعل "**تروتر**" وقال بصوت واضح رصين:

– منذ نحو ساعة، حصلت منكم على إقرارات عن مواقعكم في الوقت الذي قتلت فيه السيدة "**بويل**"، ومن هذه الإقرارات يتبين أن السيد "**رين**" والسيد "**دافيز**" كان كل منهما في غرفة نومه.. والسيدة "**دافيز**" كانت في المطبخ.. والعقيد "**متكالف**" كان في القبو. والسيد "**برافتشيني**" كان في هذه الغرفة. قال ذلك وتريث لحظة ليلتقط أنفاسه ثم

استطرد قائلاً:

–هذه هي الإقرارات التي أدليتم بها إليّ.. وليست لدي وسيلة للتحقق منها.. إنها قد تكون صحيحة وقد لا تكون.. وبوضوح أكثر، أقول إن أربعة من هذه الإقرارات صحيحة.. والخامس كاذب. فأيها الكاذب..؟ وراح ينقل البصر بينهم واحداً بعد واحد. ولكنهم لاذوا بالصمت جميعاً.

قال:

– أربعة منكم قالوا الصدق.. وواحد كذب.. ولدي خطة قد تساعدني على أن أكشف الكاذب. وإذا اكتشفت الكاذب فقد عرفت القاتل.

فقال "**جايلز**" بحدة:

– ليس من الضروري أن يكون الكاذب هوالقاتل.. ومن المحتمل أن يكون هناك كذب لأسباب أخرى.

– إنني أشك في ذلك يا سيد "**دافيز**".

–ولكن ما الفكرة أيها المفتش..؟ إنك قلت في التو واللحظة إنه لاتوجد لديك وسيلة للتحقق من صدق هذه الإقرارات.

– هذا صحيح، ولكن هب أن كل واحد قام مرة أخرى بتمثيل تحركاته وقت ارتكاب الجريمة.

فقلب "**متكالف**" شفتيه وقال:

– هل تهدف إلى إعادة تمثيل الجريمة..؟ هذه فكرة أجنبية.

– أنا لا أهدف إلى إعادة تمثيل الجريمة يا عقيد "**متكالف**".. إنما أهدف إلى إعادة تمثيل تحركات أشخاص أبرياء.

– وماذا تتوقع معرفته من وراء ذلك..؟

– معذرة إذا امتنعت عن الإجابة عن هذا السؤال في الوقت الحاضر.

فقالت "**مولي**".

– هل تريدنا أن نعيد تمثيل مواقفنا..؟

– شيء بهذا المعنى يا سيدة "**دافيز**"...

فساد الصمت، ولكنه كان صمتًا مفعمًا بالقلق.

قالت "**مولي**" لنفسها:

– هذا فخ.. من المحقق أن هناك فخًا.. ولكني لا أرى كيف سيتمكن من..؟

كان يتبادر إلى ذهن الناظر إليهم أن في الغرفة خمسة مجرمين.. وليس مجرمًا واحدًا وأربعة أبرياء، فقد راحوا ينظرون بقلق إلى المفتش الشاب الذي أخذ يستعرض وجوههم وعلى شفتيه ابتسامة فوز.

وفجأة صاح "**كريستوفر**" بصوته الثاقب:

– ولكني لا أرى كيف يمكنك معرفة الكاذب أو القاتل من مجرد قيامنا بنفس الحركات التي قمنا بها من قبل..؟ إن الأمر كله يبدو سخيفًا وغير منطقي..

– أتظن ذلك يا سيد "**رين**"..؟

فقال "**جايلز**" ببطء:

– سيكون لك ما تريد أيها المفتش، وسنتعاون معك إلى النهاية.. هل تريدنا أن نفعل تمامًا ما فعلناه قبلاً..؟

فأجاب "**تروتر**":

– قال لنا السيد "**برافتشيني**" إنه كان جالسًا أمام البيان وكان يعزف أغنية معينة.. فهلا تفضلت يا سيد "**برافتشيني**" بأن ترينا ماذا كنت تفعل تمامًا..؟

– حبًا وكرامة يا عزيزي المفتش.

– قال ذلك ومشى في الغرفة بخفة حتى وصل إلى البيان فجلس أمامه، وقال

كمن يتحدث من فوق خشبة المسرح إلى جمهور عريض:

– سيعزف الموسيقار الآن أغنية القاتل المفضلة.

وابتسم.. وراح يعزف بإصبع واحدة مطلع أغنية «ثلاثة جرذان عمياء».

ولم تتمالك "**مولي**" من أن تقول لنفسها:

– إنه يستمتع بما يفعل.

وطافت أنغام الأغنية المخيفة بأرجاء الغرفة وكأنها تنبعث من عالم آخر..

وحبس القوم أنفاسهم وران عليهم صمت رهيب..

وأخيرًا قال "**تروتر**":

– شكرًا لك يا سيد "**برافتشيني**" هل هكذا عزفت الأغنية في المرة السابقة..؟

– نعم أيها المفتش.. لقد كررت مطلعها ثلاث مرات.

فتحول "**تروتر**" إلى "**مولي**" وسألها:

– هل تجيدين العزف على البيان يا سيدة "**دافيز**"..؟

– نعم أيها المفتش.

– هل يمكنك أن تعزفي هذه الأغنية بطريقة السيد "**برافتشيني**" نفسها؟

– نعم.

– إني أرجو أن تجلسي أمام البيانعلى أهبة الاستعداد حتى أصدر إليك إشارة البدء.

فظهرت دلائل الدهشة على وجه "**مولي**" .. ولكنها اجتازت الغرفة ببطء.

واقتربت من البيان، فقال "**برافتشيني**" بلهجة الاحتجاج وهو يخلي لها مكانه أمام البيان:

– ولكني فهمت أيها المفتش أن كلاً منا سيؤدي الدور نفسه و العمل نفسه الذي كان يقوم به.. وقد كنت وقت الجريمة أعزف على البيان.

فقال المفتش:

– سيتم أداء الأعمال نفسها.. ولكن ليس من الضروري أن يؤديها الأشخاص أنفسهم.

فقال "**جايلز**":

– إنني لا أفهم الغرض من ذلك.

– الغرض الذي أهدف إليه يا سيد "**دافيز**" هو التحقق من صدق الإقرارات.. والآن سأحدد لكل منكم دوره ومكانه.. ستجلس السيدة "**دافيز**" أمام البيان.. والسيد "**رين**".. هلا ذهبت إلى المطبخ يا "**رين**"..؟ وحبذا لو قمت بملاحظة الطعام الذي تطهوه السيدة "**دافيز**".

وأنت يا سيد "**برافتشيني**".. هلا ذهبت إلى مخدع السيد "**رين**"؟

بوسعك هنا أن تستخدم مواهبك الموسيقية بأن تصفر بشفتيك مطلع أغنية (ثلاثة جرذان عمياء).. تمامًا كما كان يفعل السيد "**رين**" وقت ارتكاب الجريمة.

وأنت يا عقيد "**متكالف**".. هلا تفضلت بالذهاب إلى غرفة نوم السيد "**دافيز**".. وفحصت أسلاك التليفون هناك..؟

وأنت يا سيد "**دافيز**".. أرجوك أن تنظر داخل الدولاب ثم تهبط الدرج إلى القبو.

فساد الصمت لحظة.. ثم نظر إلى "**مولي**" من فوق كتفيه وقال:

– أرجو أن تبدئي العد من رقم 1 فإذا بلغت رقم 50 فاشرعي فوراً في عزف المقطوعة.

ثم خرج في أثر الآخرين.. وقبل أن يغلق الباب سمعت "**مولي**" صوت

"**برافتشيني**" وهو يقول:

ـ لم أكن أعلم أن بين رجال البوليس هواة للأعمال المنزلية.

ذلك لأنها كانت على يقين من أن هناك فخًا.. وأحست بنسمة هواء باردة تلفح عنقها، فنظرت وراءها بسرعة. من المحقق أن الباب فتح.. وأن شخصًا دخل الغرفة.

ـ كلا..

إن الغرفة خالية ، وليس بها أحد سواها.

وتوترت أعصابها بغتة، وشعرت بالخوف..

هب أن شخصًا دخل الغرفة..

هب أن "**برافتشيني**" تسلل إلى الداخل بخطواته المتوثبة السريعة ووقف خلفها.. ومد يديه إلى عنقها وهو يقول:

ـ أتعزفين لحن جنازتك أيتها السيدة العزيزة..؟

ولكنها هزت رأسها بعنف كأنما لتطرد هذه الأفكار السخيفة.. لا شك في أن الخيال قد اشتط بها.. فها هي ذي تسمع صفير "**برافتشيني**" في الطابق الأول.. ولابد أنه الآن أيضًا يسمع عزفها.

ولكن لا..

إنها لا تسمع "**برافتشيني**".

إنه لا يصفر..

ترى هل هذا هو الفخ..؟

أليس من المحتمل أن يكون "**برافتشيني**" قد كذب حين قال إنه كان يعزف على البيان وقت حدوث الجريمة.. وإنه كان في الواقع في غرفة المكتبة حيث خنق السيدة "**بويل**"؟

لقد ظهرت عليه دلائل الانفعال والاضطراب حين أسند إليها المفتش

"**تروتر**" مهمة العزف على البيان. ترى هل خشي أن يشعر "**تروتر**" من عزفها أنه– أي "**برافتشيني**" – لم يكن يعزف على البيان إطلاقًا وقت حدوث الجريمة وبذلك يفتضح كذبه. .وفتح الباب في هذه اللحظة. . فنظرت "**مولي**" خلفها بسرعة وتوقعت أن ترى "**برافتشيني**" . . وهمت بأن تصرخ. . ولكنها ما لبثت أن تنفست الصعداء. . فقد كان القادم هو المفتش "**تروتر**" .

- 15 -

ومضت "**مولي**" في ترديد الأعداد:

– سبعة وأربعون. . ثمانية وأربعون. . تسعة وأربعون. . خمسون. . وبدأت في العزف. .

ومرة أخرى ترددت في أرجاء الغرفة أصداء الأغنية الصغيرة

« ثلاثة جرذان صغيرة

انظر إليها كيف تجري؟ »

وأحست "**مولي**" بنبضات قلبها تسرع. . وتمعن في الإسراع ولم يسعها إلا الاعتراف بأن "**برافتشيني**"كان على حق حين قال لها إنها أغنية صغيرة قاسية. . ربما كان الهدف منها إثارة الشفقة في قلوب الصغار. . ولكن من المحقق أنها لا تثير في الكبار إلا الإحساس بالحزن والرهبة. . والخوف من المجهول. . وصل إلى سمعها في ذات الوقت صفير خافت للأغنية ذاتها. . هو صفير "**برافتشيني**" الذي أنيط به القيام بدور "**كريستوفر رين**" . وفجأة. . ارتفع صوت الراديو في الغرفة المجاورة. . لا بد أن يكون المفتش "**تروتر**" قد أدار الجهاز. . ومعنى هذا أنه كان يقوم بدور السيدة "**بويل**" .

ولكن لماذا..؟
وما الغرض من كل هذا؟
وأين الفخ..؟

- 16 -

كانت قد فرغت لتوها من عزف المقطوعة للمرة الثالثة، فقال لها المفتش:

– شكراً لك يا سيدة "**دافيز**".

كانت تبدو عليه دلائل الارتياح.. والنشاط.. والثقة، ورفعت "**مولي**" أصابعها عن مفاتيح البيان وسألته:

– هل توصلت إلى بغيتك..؟

– نعم، توصلت إلى ما أريد..

– من هو؟

– ألا تعرفينه يا سيدة "**دافيز**".. إن الأمر واضح كل الوضوح.. وبهذه المناسبة.. اسمحي لي أن أقول لك إنك حمقاء إلى أقصى حد.. فقد تركتني أبحث عن الضحية الثالثة المنتظرة.. وكانت النتيجة أنك تعرضت لخطر ماحق.

فهتفت "**مولي**":

– أنا..؟ إنني لا أفهم ما تعني..

– كما كذبت على السيدة "**بويل**".

– أنا لا أفهمك.

– بل تفهمينني جيداً.. عندما حدثتكم عن قضية مزرعة "**لونجريدج**".. كنت أنت تعلمين كل شيء عن هذه القضية.. نعم، كنت تعلمين.. بدليل أنك اضطربت وتلعثمت.. ثم بدليل أنك قلت إن السيدة "**بويل**" كانت

المسؤولة عن تهجير الأطفال في المنطقة. لقد كنت أنت والسيدة "**بويل**" من أهل تلك المنطقة ولذلك عندما بدأت أفكر فيمن عساه أن يكون الضحية الثالثة؛ اتجه تفكيري إليك تواً؛ لأنك كنت تعرفين كل الحقائق عن قضية المزرعة.. معرفة شخص له صلة بها.

إننا معشر رجال البوليس لسنا من الغباء كما يبدو.

فقالت "**مولي**" بصوت خافت:

– أنت لا تفهمني.. فإنني لم أكن أريد أن أتذكر ذلك الحادث.

فقال وقد تغير صوته قليلاً:

– بل أفهمك تماماً، ألم يكن لقبك قبل الزواج هو "**ونرايت**"..؟

– نعم.

– ألست أكبر سناً مما تزعمين..؟ في سنة 1940 عندما وقع حادث المزرعة.. كنت تعملين معلمة بمدرسة "**ابيفال**".. أليس كذلك..؟

– نعم، ليس كذلك.

– بل كنت.

– أؤكد لك أنني لم أكن.

– إن الطفل الذي مات.. استطاع قبل موته أن يبعث إليك برسالة.. إنه سرق طابع بريد وبعث بالرسالة في طلب النجدة.. بعث بالرسالة إلى معلمته المحبوبة لكي تغيثه وتنقذه مما يلقى من العذاب وسوء المعاملة.. إن من أول واجبات المعلمة أن تبحث عن أسباب غياب الطفل، لماذا انقطع عن المدرسة؟ ولكنك لم تفعلي، وتجاهلت رسالة الطفل المسكين وصممت أذنيك عن استغاثته.

فصاحت "**مولي**" وعيناها تتوهجان:

– كفى، كفى.. إنك تتكلم عن أختي فهي التي كانت تعمل في تلك

المدرسة.. كانت ناظرة المدرسة. وهي لم تتجاهل رسالة الطفل ولم تصم أذنيها عن استغاثته.. ولكنها أصيبت بالتهاب، فلم تتسلم الرسالة إلاّ بعد وفاة الطفل.

كانت شديدة الحساسية فهزها الحادث من الأعماق وحز في قلبها حتى ماتت حزنًا وكمداً.. ولذلك حرصت دائمًا على اجتناب كل ما يذكرني بالحادث وما ترتب عليه. قالت ذلك وغطت وجهها بيديها.. وعندما رفعت رأسها بعد ذلك، وجدت "**تروتر**" يتفرس فيها.

قال في هدوء:

– إذن فقد كانت أختك..

وارتسمت على شفتيه ابتسامة غريبة واستطرد قائلاً:

– لا بأس.. أختك وأخي.. ذلك لا يقدم ولا يؤخر.

وأخرج من جيبه شيئًا واتسمت ابتسامته بطابع السعادة والرضا، وحدقت "**مولي**"إلى الشيء الذي أخرجه من جيبه. وقالت:

– كنت أظن أن رجال البوليس لا يحملون مسدسات.

فأجاب المفتش:

– إن رجال البوليس لا يحملون مسدسات يا سيدة "**دافيز**"، ولكنني لست من رجال البوليس.. أنا "**جيم**".. شقيق "**چورچ**".. الطفل الذي قتلته قسوة الناس.. إنك ظننت أنني من رجال البوليس؛ لأنني اتصلت بك من تليفون بالقرية المجاورة وقلت لك إن المفتش "**تروتر**" في طريقه إليكم.

وعندما حضرت إلى هنا، قطعت الأسلاك التليفونية، خارج البيت حتى لا تتمكنوا من الاتصال بمركز البوليس.

فنظرت إليه "**مولي**" في دهشة وذهول، ورأت المسدس مصوبًا إليها..

قال لها:

– لا تتحركي ولا تصيحي يا سيدة "**دافيز**" وإلا أطلقت عليك الرصاص.

كان لايزال يبتسم، ولاحظت "**مولي**" والفزع يملأ قلبها، أنها ابتسامة طفل..

كذلك كان صوته، عندما تكلم بعد ذلك، كصوت الأطفال..

قال:

– أنا شقيق "**چورچ**" الذي مات في مزرعة "**لونجريدج**".. لقد أرسلتنا تلك المرأة المقيتة، السيدة "**بويل**"، إلى تلك المزرعة، وكانت زوجة المزارع شديدة القسوة علينا. ولم يحاول أحد إغاثة الجرذان الصغيرة العمياء.. فقررت أن أقتلكم جميعًا عندما أصبح رجلاً.. ورسخت الفكرة في ذهني منذ ذلك الوقت. وقطب ما بين حاجبيه فجأة، واستطرد قائلاً:

– لقد ضايقوني كثيرًا في الجيش.. ولم يكف ذلك الطبيب عن إلقاء الأسئلة.. إلى أن ضقت ذرعا فهربت.. كنت أخشى أن يمنعوني من تنفيذ ما عقدت عزمي عليه.

ولكني كبرت الآن. والكبار يستطيعون أن يفعلوا ما يريدون.. وجمعت "**مولي**" أطراف شجاعتها، وقالت لنفسها:

« يجب أن أتحدث إليه وأطيل الحديث.. وأحاول أن أصرفه عن التفكير في جريمة ».

– قالت له:

– أصغ إليّ يا "**جيم**".. يجب أن تعلم أنه لا أمل لك في النجاة.

فاربد وجهه وقال:

– لقد أخفى بعضهم أدوات الانزلاق.

ثم ضحك فجأة وقال:

– ولكن لا بأس.. إن هذا المسدس هو مسدس زوجك.. أخذته من درج

مكتبه.. ومتى قتلتك فسوف يعتقدون أنه هو الذي قتلك .

وعلى كل حال فإن الأمر لا يهمني كثيراً.. لقد استمتعت بدوري إلى أقصى حد.. كان يجب أن ترى وجه تلك المرأة في "**لندن**"عندما عرفتني. ثم وجه المرأة الأخرى التي ماتت اليوم. وضحك.. وأغرق في الضحك.

وفي هذه اللحظة.. طاف بالجو صفير هادئ مخيف.. كان بعضهم يصفر غنية (ثلاثةجرذان عمياء) ..وبهت "**تروتر**".. واهتز المسدس في يده..

وصاح صوت:

– اهبطي يا سيدة "**دافيز**"..

فغاصت "**مولي**" بسرعة البرق، في اللحظة التي برز فيها العقيد "**متكالف**" من وراء مقعد على مقربة من الباب، وألقى بنفسه على "**تروتر**".

وانطلق المسدس، واستقرت الرصاصة في صورة على الجدار.

وما هي إلا لحظة حتى جاء "**جايلز**" مسرعًا، وفي أثره "**كريستوفر**" و"**برافتشيني**".. وأمسك "**متكالف**" بتلابيب "**تروتر**".. وقال في عبارات سريعة موجزة:

– إنني تسللت إلى الغرفة حين كانت السيدة "**دافيز**" تعزف على البيان..

لقد ارتبت في أمره منذ البداية.. كنت أعلم أنه ليس شرطيًا.. لأنني شرطي.. واسمي المفتش "**تانر**"..

إننا اتفقنا مع العقيد "**متكالف**" على أن أحل محله هنا، فقد رأت "**اسكتلانديارد**" أن من الأصوب أن يكون أحد رجالها في مسرح الأحداث..

ثم التفت إلى "**تروتر**"وقال له برفق شديد:

– هلم بنا يا بني.. لن يصيبك أذى.. سيكون كل شيء على ما يرام.. وسوف نعنى بك كل العناية..

فقال "**تروتر**" بصوت يثير الشفقة كصوت طفل حائر:

– ألن يغضب "**چورچ**" مني..؟

فقال "**متكالف**":

– كلا، إنه لن يغضب منك.

ثم همس لـ "**جايلز**" وهو يمر به:

– إنه مجنون تماماً..

وتأبط ساعد "**تروتر**" وخرج به..

وهنا قال "**برافتشيني**" وهو يتأبط ساعد "**كريستوفر**":

– وأنت أيضاً يا صديقي.. تعال معي..

وبقيت "**مولي**" و"**جايلز**"، ونظر كل منهما إلى الآخر.. وما هي إلا لحظة حتى ألقى كل منهما بنفسه بين ساعدي الآخر.

هتف "**جايلز**":

– هل أنت بخير أيتها العزيزة..؟

– نعم يا "**جايلز**".. حمداً لله.. لقد انتهى كل شيء.. كنت في دوامة رهيبة.. وقد ظننت في وقت ما أنك.. ولكن حدثني، لماذا ذهبت إلى "**لندن**" في ذلك اليوم..؟

– ذهبت لشراء هدية لك لمناسبة عيد زواجنا غداً، وأردت أن تكون مفاجأة لك..

– ما أعجب هذا..! وأنا ذهبت إلى "**لندن**" للغرض نفسه وأردت أن أخفي الأمر عنك. وأردت أن تكون مفاجأة لك.

وفتح الباب في هذه اللحظة ودخل "**برافتشيني**" وهو يتواثب كالعنزة وقال:

– يا له من مشهد جميل! ولكن ما يؤسف له أنني جئت لأودعكما، فقد ستطاعت إحدى سيارات الشرطة أن تشق طريقها إلى هنا، ووافق المفتش **تانر**" على أن يأخذني معه..

ثم اقترب من "**مولي**" وهمس في أذنها:

- إذا جاء ذات يوم طرد به كمية من الخردل الفرنسي وجوارب النايلون فاعلمي أنه مرسل مني مع تمنياتي لك بالسعادة والتوفيق..

وداعا أيتها السيدة الفاتنة.. وانحنى وقبل يدها باحترام وقال وهو يغادر الغرفة:

- لقد تركت على المائدة شيكًا بقيمة الحساب يا سيد "**دافيز**"..وهمست "**مولي**" وهي لا تكاد تصدق أذنيها:

- خردل فرنسي.. وجوارب نايلون.. ترى من يكون السيد "**برافتشيني**" هذا.،.؟ بابا نويل..؟

فقال "**جايلز**":

- أعتقد أنه يعمل في السوق السوداء..

وفي هذه اللحظة أطل "**كريستوفر**" برأسه من الباب وقال:

- أرجو ألا أكون متطفلاً.. ولكني شممت رائحة شيء يحترق في المطبخ.. فماذا يجب أن أفعل..؟

فصاحت "**مولي**" في هلع:

فطائري تحترق!

وانطلقت تعدو إلى المطبخ.

تمّت بعون الله